أبو خلدون
ساطع الحصري

آراء وأحاديث
في
القومية العربية

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الخانجي بمصر

آراء وأحاديث

في

القومية العربية

للمؤلف

دراسات عن مقدمة ابن خلدون — الجزء الأول	بيروت	١٩٤٣
دراسات عن"مقدمة ابن خلدون — الجزء الثانى	بيروت	١٩٤٤
نقد تقرير لجنة مونرو — عن معارف العراق .	بغداد	١٩٣٢
الاحصاء (محاضرات فى علم الاحصاء) . .	بغداد	١٩٣٩
تقارير عن إصلاح المعارف فى سوريا . . .	دمشق	١٩٤٤
تقارير عن أحوال المعارف فى سوريا . . .	دمشق	١٩٤٥
مجلة التربية والتعليم - (خمس مجلدات) . .	بغداد	١٩٢٨ } ١٩٣٢ }

* * *

يوم ميسلون	بيروت	١٩٤٧
صفحات من الماضى القريب	بيروت	١٩٤٨
أصول التدريس ـ الأصول العامة	بيروت	١٩٤٨
أصول التدريس ـ تدريس اللغة العربية . .	بيروت	١٩٤٨
حولية الثقافة العربية (السنة الأولى) . . .	القاهرة	١٩٥٠
محاضرات فى نشوء الفكرة القومية	القاهرة	١٩٥١
آراء وأحاديث فى التربية والتعليم	القاهرة	١٩٤٤
آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية	القاهرة	١٩٤٤
آراء وأحاديث فى العلم والأخلاق والثقافة . .	القاهرة	١٩٥١
آراء وأحاديث فى التاريخ والاجتماع . . .	القاهرة	١٩٥١
آراء وأحاديث فى القومية العربية	القاهرة	١٩٥١

(المؤلفات المذكورة فى القسم الأول من هذه القائمة نفدت)

أبو خلدون
ساطع الحصري

آراء وأحاديث
في
القومية العربية

مطبعة الاعتماد بمصر
١٩٥١

مقدمة

— ١ —

ما أسعد الأمم التى حققت وحدتها القومية ، واستكملت شخصيتها السياسية ، فاستطاعت أن تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية ! . .

ذلك لأن مفهوم الوطن عند أمثال هذه الأمم يكون واضح المعالم ومستقر الشكل : الأمة تكوّن دولة مستقلة موحدة ؛ فتتعين حدود الوطن عندها بحدود الدولة القائمة ، التى تجمع شمل الأمة بأجمعها تحت راية واحدة .

ولذلك ، لا تكون الوطنية عند هؤلاء الأمم موضع خلاف ومثار جدل ؛ وجميع أفراد الأمة يفهمون الوطن على طراز واحد ، ولا يختلفون فى تقدير واجباتهم الأساسية نحو هذا الوطن المشترك العام .

***

ولكن .. ما أتعس الأمم التى ظلت بعيدة عن تحقيق وحدتها القومية ، واستكمال شخصيتها السياسية ، فلم تستطع أن تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية ! .

إن مفهوم الوطن عند هذه الأمم لا يكون واضح المعالم ومستقر الشكل ؛ لأن تعدد الدول المسيطرة على شؤون الأمة ، يجعل مفهوم الوطن معقداً ومشوشاً فى الأذهان .

ذلك لأن الوطنية عند تلك الأمم تتصل بمفاهيم عديدة : فيكون هناك « الوطن الخاص » الذى يتحدد بحدود كل دولة من الدول القائمة ،

و « الوطن العام » الذى يشمل جميع الأراضى التى تسكنها شعوب الأمة ، على اختلاف دولها وأوضاعها السياسية .

« الوطن الفعلى » الذى تعترف به الدول .. و « الوطن المثالى » الذى تنشده نفوس المواطنين ، وتتوق إلى رؤيته مظللا تحت راية مشتركة فى المستقبل القريب أو البعيد .

و بتعبير أقصر ، يكون هناك : « الوطن الراهن » و «الوطن المنشود» . . . « الوطن الدولى » و « الوطن القومى » .

ولا حاجة إلى البيان : ان كل واحد من هذين المفهومين ، يحتم على المواطنين واجبات خاصة ، من نوع خاص .

***

ولكن ، عقول جميع الناس لا يمكن أن تستوعب هذين المفهومين المتداخلين بسهولة . لأن أنظار الجميع لا تمتد إلى ما وراء الحدود القائمة على وتيرة واحدة ؛ ولا تتطلع إلى المستقبل القريب أو البعيد بنظرات متشابهة . كما أن عقول جميع المواطنين لا تستطيع أن تؤلف بين مقتضيات هذين المفهومين تأليفاً منطقياً عملياً .

ولهذه الأسباب كلها ، تكون الوطنية موضع خلاف ومثار جدل بين المواطنين .

فينقسم الناس إلى فريقين ، إزاء قضايا الوطن والوطنية الأساسية : فريق الاقليميين ، وفريق القوميين .

فريق الذين يقصرون أنظارهم داخل حدود الدولة التى ينتسبون اليها ، من غير أن يفكروا بما وراءها ، فيعتبرون كل ما بقى خارج تلك الحدود أجنبيا

وفريق الذين لا يرضون بالانحباس داخل هذه الحدود ؛ بل يتطلعون إلى الحدود القومية التى تمتد إلى ما وراءها . . .

فريق الذين يكتفون بالوطن المعترف به دولياً . . وفريق الذين يرسلون أبصارهم إلى ما وراء ذلك ، ويتوجهون بعقولهم وقلوبهم إلى الوطن المثالى ، الذى يجب أن يجمع مختلف شعوب الأمة تحت راية واحدة . . .

« فريق الاقليميين » الذين ينكرون وحدة الأمة ، ويقولون بتعددها تبعاً لتعدد دولها ؛ و « فريق القوميين » الذين يعتقدون بوحدة الأمة ، على الرغم من تعدد الدول ...

***

إن اختلاف النظر بين هذين الفريقين يؤدى إلى اختلاف النزعات بطبيعة الحال ؛ وهذا الاختلاف يكتسب شكلا حاداً فى بعض الأحيان :

يتهم الاقليميون معارضيهم بالتقصير فى واجباتهم نحو الدولة القائمة ؛ فى حين أن القوميين يتهمون هؤلاء بعدم إدراك واجباتهم نحو الأمة .

يدعى الاقليميون ، أن القوميين يسيرون وراء الأوهام والخيالات ؛ فى حين أن القوميين يقولون عن هؤلاء ، أنهم لا يدركون سمو معانى الأمة والوطن ، فيتمسحون بأذيال الأحوال الحاضرة والأوضاع الراهنة .

ومن الطبيعى أن الدول الأجنبية التى تطمع فى تلك البلاد ، تجد فى هذه الأوضاع والاختلافات مجالا واسعا للقيام بالدسائس والدعايات التى تضمن لها مصالحها الخاصة . . وتعمل لاذكاء نيران الخلاف ، بتقوية الاقليمية بشتى الوسائل والأساليب ، لتحول دون أتحاد الأمة لتكوين دولة قوية .

هذا ، والنفعيون من أهل البلاد أيضا ، لايتأخرون عن استغلال هذه الأوضاع ؛ فيسعى قسم منهم لتقوية الاقليمية ، تارة للاحتفاظ بالمنافع التى اكتسبها ، وطوراً للحصول على منافع جديدة وتحقيق أطماع كبيرة .

و يتخذ قسم منهم النزعة القومية مطية للوصول إلى أهداف شخصية ، و يسىء إلى سمعة الفكرة السامية التى يستغلها بهذه الصورة لغاياته النفعية .

و يظهر بين النفعيين فريق آخر ، يستفيد من هذه الأوضاع للتحلل من واجباته الوطنية والقوميـة ، ولازدراء النزعات القومية والوطنية على حد سواء .

وتتضافر هذه العوامل المتنوعة والمتضاربة كلها . . على زيادة البلبلة فى الأفكار والنزعات ، و إشاعة الفوضى فى البلاد ، واضرام نيران التفرقة بين المواطنين .

إن الأمة الألمانية قبل سنة ١٨٧٠ ، والأمة الإيطاليه قبل سنة ١٨٦٠ كانت فى هذه الحالة .

والأمة العربية ، لا تزال فى هذه الحالة . . .

— ٢ —

إن الأمة العربية منقسمة فى الحالة الحاضرة إلى عدة وحدات سياسية : بعضها مستقل تماماً ، و بعضها مستقـل نسبيا ؛ بعضها تحت الحماية رسمياً ، و بعضها فى حالة مستعمرة صراحة .

والوحدات المستقلة نفسها منقسمة إلى دول عديدة ، لـكل منها علم خاص ، وحكومة خاصـة ، ووضع سياسى خاص : بعضها جمهورية ،

بعضها ملـكية مطلقة ، وبعضها ملـكية مقيـدة بشكل من أشكال النظم النيابية .

وأما مواطنو هذه الدول والوحدات السياسية المختلفة ، فينقسمون — من وجهة الآراء والنزعات القومية — إلى ثلاث زمر أساسية :

(أ) فريق منهم يقول بوحدة الأمة العربية ، على الرغم من تعدد دولها ؛ ويرى من الضرورى العمـل لتوحيد فروع الأمة العربية بشكل من الأشكال .

(ب) وفريق ثان منهم يتمسك ، بعكس ذلك ، بالاقليمية الناتجة من تعدد الدول ؛ ويعتبر أهالى كل دولة من الدول العربية أمة قائمة بذاتها ، ومتميزة عن غيرها ؛ فيقول بوجوب بقاء هذه الدول منفصلة بعضها عن بعض انفصالا تاما ، فى الحال وفى الاستقبال .

(ج) وفريق ثالث منهم ، يسلم بوجود أمة عربية ؛ ومع هذا يرى أن المصلحة تقضى ببقاء كل دولة مستقلة عن غيرها . ولذلك يعارض اتحاد هذه الدول بأى شكل كان . ومع هذا ، يوافق على تكتل الدول العربية ، باتفاقيات خاصة أو عامة ....

انى قسمت الناس خلال هذا الحديث بالنسبة إلى مواقفهم من « القومية العربية » إلى ثلاث زمر أساسية . وقد فعلت ذلك بالنظر إلى الاتجاهات الرئيسية . ولـكنى أعرف أن هناك تيارات كثيرة أخرى ، تقسم هذه الزمر نفسها إلى فروع عديدة :

لأن هناك جماعات ترى وجوب اتحاد بعض الدول العربية ، « دون غيرها » ، أو « قبل غيرها » .

وهذه الجماعات نفسها تختلف فى تعيـين الدول التى يجب أن تتحد « دون غيرها » أو « قبل غيرها » :

وهناك جماعة تسعى لتوحيد سوريا مع الأردن ؛ وأخرى تدعو إلى اتحاد سوريا مع لبنان ؛ وأخرى تعمل لتحقيق اتحاد سوريا مع العراق ؛ وأخرى ترى وجوب اتحاد الأردن مع العراق ... وجماعة تدعوا إلى تكتل هذه الدول الأربع . واخرى تتمنى أن تتكتل فى الوقت نفسه مصر ، مع دول الجزيرة وليبيا . .

هذا ، ونجد بين كل واحدة من هذه الجماعات ، طائفة تعتبر الاتحاد الذى تدعو إليه هدفاً مقصوداً لذاته ؛ فى حين ان طائفة اخرى ، تسعى ورا هذا الاتحاد الجزئى ، تمهيداً لاتحاد أشمل ، بل ولاتحاد عام .

وفى الوقت نفسه ، نجد هناك جماعة اخرى تعارض هذه الاتحادات الجزئية من حيث الأساس ؛ لانها تذهب إلى ان ذلك يعرقل ويعيق الاتحاد العام المنشود .

— ٣ —

هذا ، ومن المعلوم ان الدول العربية شعرت — فى أواخر أيام الحرب العالمية الثانية — بوجوب التكتل فعلا : وبعد المشاورات التى جرت بين رئيس وزراء مصر وبين رؤساء وزراء كل من سائر الدول العربية، وقعت على بروتوكول الاسكندرية سنة ١٩٤٤ ، ثم عدلت عنه إلى الميثاق الذى تقرر سنة ١٩٤٥ .

و « جامعة الدول العربية » التى تكونت بموجب هذا الميثاق ، قوبلت — فى بادىء الأمر — بحماسة شديدة فى جميع البلاد العربية ؛

وهذه الحماسة ساعدت مساعدة كبيرة على انتشار فكرة القومية العربية وازدهارها .

إلا ان . . الوقائع التى توالت بعد ذلك . . خيبت آمال الكثيرين من القوميين ، كما انها فسحت مجالا واسعاً لارتفاع أصوات الكثيرين من الشعو بيين اللاقوميين .

وتولدت من جراء ذلك ، تيارات عديدة حول جامعة الدول العربية أيضاً :

هناك جماعة تنادى بوجوب اصلاح هذه المؤسسة اصلاحاً أساسياً ، يجعلها آلة صالحة لخدمة القومية العربية خدمة حقيقية .

وجماعة لا تأمل منها خيراً ، فتدعو إلى حلها ، والعدول عنها نهائياً ؛

وجماعة تشترك مع هؤلاء فى عدم الأمل منها حالياً ، ومع هذا لا تحبذ الغاءها ؛ بل ترى من الأوفق تركها وشأنها ، انتظاراً إلى سنوح فرص أكثر ملاءمة لاصلاحها اصلاحا اساسيا .

وهناك جماعة تضع اللوم كله على جميع الدول المشتركة بالجامعة ؛ وجماعة تحصر المسؤولية فى البعض منها ، دون غيرها ؛ وجماعة تعتبر الأمانة العامة المسؤولة الاولى عن الأوضاع التى وصلت اليها جامعة الدول العربية . . .

وبجانب هذه الجماعات ، جماعة أخيرة : تدعى بان أعمال جامعة الدول العربية برهنت على بطلان فكرة القومية العربية ؛ وتدعو لذلك إلى العدول عن الفكرة نفسها . .

ولا حاجة إلى القول ، ان التيار الذى يمثله هؤلاء ، هو أخطر هذه التيارات كلها ، وأبعدها عن سبيل الحق والصواب :

لأن «جامعة الدول العربية» التى تأسست بموجب الميثاق المعلوم ، لم تـكن « جامعة عربية » ، ولا « جامعة للشعوب العربية » ، بل هى جامعة « للدول العربية» . فلا يجوز أن تعتبر ممثلة للامة العربية ؛ كما ان الفشل الذى منيت به هذه الجامعة إلى الآن ، لا يجوز أن يعتبر دليلا على بطلان فـكرة القومية العربية ، بوجه فى الوجوه .

واذا جاز لى أن أستشهد بالوقائع التاريخية ، قلت : ان مجلس جامعة الدول العربية يشبه إلى حد ما « الدييت » الألمانى الذى تـكوّن بعد معاهدة فينا ؛ والتاريخ يشهد على ان فشل المجلس المذكور فى جمع كلمة الدول الألمانية ، لم يحل دون اتحاد الألمان اتحاداً فعليا ، بعد مدة من الزمان . . .

وأعتقد ان مثل مَن يعتبر فشل جامعة الدول العربية دليـــلا على بطلان فـكرة القومية العربية ، كمثل مَن يعتبر عدم استفادة مريض من المرضى من العلاج الذى وصفه له طبيب من الأطباء .. دليلا على بطلان الطب وعدم فائدة الأطباء ..

* * *

وإذا نظرنا إلى الامور من الوجهة الواقعية ، وجب علينا أن نسلم بان جامعة الدول العربية لم تعمل شيئا يذكر فى سبيل تقوية « فـكرة القومية» ونشرها بين الناس . لأن مجلس الجامعة ، ركّز جهوده فى القضايا

السياسية ؛ وأما أمانتها العامة، فقد بقيت بعيدة عن تقدير الواجبات القومية التى تترتب عليها حق التقدير . . .

فلا اغالى اذا قلت : ان فكرة «القومية العربية» لم تستفد من جامعة الدول العربية استفادة تستحق الذكر.

* * *

ومما يلفت النظر ، ان تكوّن «جامعة الدول العربية» — مع الدوائر المتفرعة منها — جعل الكثيرين من القوميين يعتمدون عليها فى نشر الفكرة القومية ؛ فانقطعوا عن العمل فى سبيلها.

ولهذه الأسباب كلها ، حدث نوع من الفتور فى الحركات القومية ، أعقبه شيء الارتداد فى بعض البلاد .

وهذا حدث ، مع الأسف الشديد ، فى الوقت الذى أصبح الرأى العالم العربى فى أشد الحاجة إلى التنوير ، والتنسيق ، والتوجيه .

فعلى مفكرى الامة، فى مختلف الأقطار العربية، أن يقدروا الواجبات الخطيرة التى تترتب عليهم فى هذه الظروف الحرجة . . وأن يسارعوا إلى خدمة الفكرة العربية خدمة صادقة

فانى أدعو جميع المؤمنين بالقومية العربية الى مضاعفة الجهود فى خدمة الشعوب العربية ... لأنها أصبحت فى حاجة إلى الخدمات الجدية أكثر من أى وقت مضى . .

أبو خلدون

ساطع الحصرى

القاهره ٢٢ آذار ١٩٥١

كلمة

حـــول

كارثة فلســـــطين

سمعت بعض الشبان يتساءلون :

— كيف خسر العرب معركة فلسطين ضد اسرائيل، مع أنهم كانوا سبع دول ؟

ولـكنى أجبت على هذا السؤال :

— لا يجوز أن يقـال : أن العرب خسروا معركة فلسطين ، مع أنهم كانوا سبع دول .

بل يجب أن يقال : أن العرب خسروا معركة فلسطين ، لأنهم كانوا سبع دول .

نشرت فى جريدة الزمان البغدادية — نيسان ١٩٥٠

محاضرة

في

القومية العربية

ألقيت فى قاعة جمعية الوحدة العربية بالقاهرة

فى ٢١ كانون الأول ١٩٥٠

كلمة تمهيد : البلبلة فى مفهوم القومية العربية

١ — الأمة شيء والدولة شيء آخر .

٢ — درس من أوضاع ليبيا وحوادثها .

٣ — الولايات العربية فى الدولة العثمانية .

٤ — كيف تكونت الدول العربية ؟

٥ — كيف تقررت حدود هذه الدول ؟

٦ — مصر لا تختلف عن سائر البلاد العربية .

٧ — الارادة والمشيئة فى تكوين القومية .

خلاصة القول : الأمة العربية والشعوب العربية .

القومية العربية

من هو العربى ؟ ما هى الأمة العربية ؟ وما هى الشعوب التى تدخل فى مفهوم كلمة العرب ؟

إن الأجوبة التى تعطى على هذه الأسئلة فى مختلف بيئات المتنورين فى هذه البلاد ، تنم عن تضارب شديد من ناحية ، وغموض غريب من ناحية أخرى .

وقد ظهرت آثار هذا التضارب والغموض إلى العيان ، بوجه خاص خلال المساجلات التى جرت فى هذه القاعة نفسها ، قبل نحو عشرة أيام .

فالسؤال الذى وجهه صديقنا الأمير مصطفى الشهابى الى الحاضرين ، أثار ردوداً متنوعة جداً ، وأظهر شدة البلبلة التى تسود الأذهان ، فى هذه الأيام ، حول تحديد مفهوم العرب والعروبة .

لأننا سمعنا من يقول : أن العربى هو الذى يتكلم بالعربية ؛ ومن يقول : هو من يريد أن يكون عربياً ؛ ومن يقول : هو من يعتز بالعروبة . ورأينا من يقول بأعلى صوته « أنا مصرى بس » ، ومن يسأل : « لماذا أكون عربياً ؟ » ، وسمعنا صوت من ينقل الحديث الى الديانة الإسلامية ، ومن يجر الكلام الى ميادين الاممية والعالمية ؛ ورأينا من يردد قول القائلين أن « المصالح المادية ، هى التى تقرر كل شىء » ؛ ومن يشير الى « اختلافات البيئة والمناخ » .

لماذا ؟ لماذا يختلف المفكرون فى هذه البلاد بوجه خاص — وفى سائر

أنحاء العالم العربى بوجه عام — كل هذا الاختلاف ، فى مثل هذه المسائل الأساسية التى تمس كيان الأمة وتتصل بصميم حياتها ؟

لا شك فى أن لهذه الاختلافات أسباباً عديدة . ولكنى أعتقد أن أهم هذه الأسباب ، و بتعبير أصح : المصدر الأصلى لجميع تلك الأسباب، هو : تعدد الدول العربية ، وانقسام الأمة العربية بين هذه الدول المتعددة.

ذلك لأننا نشأنا على الاهتمام بالدول أكثر من التفكير فى الأمم . فصار أمر « تعدد الدول العربية » يستوقف أنظارنا بشدة ، تحول دون انتباهنا الى « الأمة العربية » التى وراء هذه الدول .

إنى لاحظت ذلك عند الكثيرين من المتنورين . لاحظت أن معظم هؤلاء لا يميز بين الدولة وبين الأمة تمييزاً واضحاً ؛ حتى أن بعضهم ينكر وجود فرق بينهما على الاطلاق .

ولذلك رأيت من الضرورى أن أبدأ أبحاث القومية العربية ، بمناقشة هذه القضية .

— ١ —

أذكر بأنى كنت قرأت قبل مدة وجيزة ، مقالة فى إحدى المجلات المصرية ، تطرق فيها كاتبها إلى معانى الدولة والأمة ، فقال : إن الأمة والدولة شىء واحد . فالدولة هى الأمة ، والأمة هى الدولة . ولا فرق بينهما أبداً .

إن هذا القول يصح إلى حد ما ، بالنسبة إلى بعض الدول و بعض الأمم ؛ ولكنه لا يصح أبداً بالنسبة إلى بعض الدول الأخرى ، والأمم الاخرى .

إنه يصح — إلى حد ما — بالنسبة إلى « الدول القومية » التى تتألف من أمة واحدة ، وتجمع شمل تلك الامة بأجمعها ؛ ولكنه لا يصح أبداً ، بالنسبة إلى الدول التى قد تكون مؤلفة من أمم عديدة ، أو تكون قائمة على جزء من الأمة دون سائر أجزائها .

ولتوضيح قولى هذا ، اسمحوا لى أن أذكر لكم واقعة تاريخية مشهورة : تعرفون بأن بولونيا كانت ، حتى أواسط القرن الثامن عشر ، دولة مستقلة ، وقوية الشكيمة ؛ ولكنها بعد ذلك أخذت تضعف وتتضعضع ، الى أن انقرضت ، وزالت من عالم الوجود : لأن جاراتها الثلاث تألبت عليها ، واستولت على أراضيها ، ثم تقاسمت تلك الأراضى فيما بينها . وأصبح قسم من أراضى بولونيا جزءاً من پروسيا ، وقسم آخر جزءاً من روسيا ، وقسم آخر جزءاً من النمسا . كما أن سكان كل قسم من هذه الاقسام ، أصبحوا من رعايا الدولة المستولية عليها .

بهذه الصورة ، اندرست الدولة البولونية ، وزالت من عالم الوجود . ولكن هل اندرست معها الامة البولونية أيضاً ؟

كلكم تعرفون أن : كلا !.. ظلت الأمة البولونية أمة حية واعية ، رغم حرمانها من دولة قومية ترعى شؤونها ، وتجمع شملها .

دخل البولونيون تحت حكم الدول الثلاث التى ذكرتها . ولكنهم لم يندمجوا بحكامهم الجدد . بل ظلوا محافظين على كيانهم القومى . انهم لم يتركوا لغتهم الخاصة ، ولم ينسوا تاريخهم الخاص ؛ وظلوا يشعرون بانهم ليسوا روساً ، ولا پروسيين ، ولا نمسويين ؛ بل إنهم يتميزون عن هؤلاء

جميعاً . انهم بقوا متمسكين بقوميتهم ، شاعرين بها ؛ وظلوا ينزعون الى التحرر من ربقة هؤلاء الحاكمين، وإلى الاتحاد مع أبناء جلدتهم الآخرين. وظلوا يعملون لأجل الاستقلال والاتحاد ؛ إلى أن نالوا بغيتهم هذه ، وأعادوا بناء دولتهم المنقرضة ؛ وضمنوا لأنفسهم الاستقلال والاتحاد فى وقت واحد .

ويظهر من كل ذلك : ان الأمة والدولة لم تكونا شيئاً واحداً ، بالنسبة إلى البولونيين ، فى هذا القسم الهام من تاريخهم العتيد : لأن الأمة البولونية عاشت بعد اندراس الدولة البولونية ؛ كما انها أدركت — فى آخر الأمر — بعث الدولة البولونية بعد موتها الأول .

والبولونيون لم يكونوا من الأمثلة الشاذة فى هذا السبيل ؛ بل إن لهم أمثال كثيرة ، فى مختلف أدوار التاريخ .

فان الأمة الآلمانية مثلا — الأمة الآلمانية التى ظهرت فى هذا القرن أشد تماسكا وأقوى اتحاداً من جميع الامم الأوروبية ـ كانت منقسمة إلى دول كثيرة . وكان عـدد هذه الدول أكثر من ثلاثمائة فى أوائل القرن المـاضى . وقد شهد العالم بعد ذلك قيام دولة آلمـانيا الموحدة ، كما شهد اندراس تلك الدولة ، باحتلال الحلفاء لجميع الأراضى الآلمـانية ونحن نشهد الآن، تكوّن دولتين آلمـانيتين تحت مراقبة الجيوش الاحتلالية ، الغربية والشرقية ..

فكيف يجوز لنا أن نقول، والحالة هذه ، ان الدولة والأمة شيء واحد؟

بل يجب علينا أن نعلم : — بعكس ذلك — ان الدولة شيء ، والامة شيء آخر .

قد تكون حدود البلاد التى تقطنها الأمة منطبقة على حدود الأراضى التى تحكمها الدولة ؛ وقد تكون مختلفة عنها .

وقد تكون الامه « واحدة » ، على الرغم من كون الدول التى تحكمها « متعددة » .

وقد تكون الامة موجودة ، على الرغم من عدم وجود دولة تسوسها.

***

أحد اخواننا المصريين — الذين اشتركوا فى المناقشات التى جرت هنا قبل نحو اسبوعين — نظر إلى القضية بنظرات قانونية فقهية بحتة ؛ ولذلك حامت نظراته كلها حول الدولة ، ولم تتصل قط بالامة .

انه تكلم عن الجنسية ، وذكر كلمة Nationalité الفرنسية ، وقال: يوجد جنسية — ناسيونااليته — مصرية ؛ ويوجد ناسيونااليته عراقية . . . ولكنه لا يوجد ناسيونااليته عربية . .

ولكنى أود أن ألفت الأنظار إلى حقيقة هامة فى هذا المضمار : إن كلمة « ناسيونااليته » فى اللغة الفرنسية تدل على معنيين مختلفين : المعنى الفقهى الذى يدل على انتساب الفرد إلى دولة من الدول ؛ والمعنى الاجتماعى، الذى يدل على انتساب الفرد إلى امة من الامم ، ولو لم تكن تلك الامة فى حالة دولة .

انى استشهد على قولى هذا ، بمعجم الاصطلاحات الفلسفية التى نشرته « جمعية الفلسفة الفرنسية » . راجعوا كلمة « ناسيونااليته » فى المعجم المذكور ، تروا ان البروفسور لالاند ، ميز المعنيين بعضهما عن بعض تمييزاً صريحاً : ذكر المعنى الأول تحت حرف « ألف » ، وأورد أمثلة عديدة على

استعمال الكلمة بهذا المعنى ؛ وذكر المعنى الثانى تحت حرف «ب» ، وأورد أمثلة اخرى على استعمال الكلمة بهذا المعنى .

اذن نحن أمام كلمة تدل على معنيين مختلفين ؛ لم ير الفرنسيون بأساً من التعبير عن هذين المعنيين بكلمة واحدة .

وأما الألمان ، فكانوا أعمق تفكيراً وأصدق تعبيراً من الفرنسيين فى هذه القضية : انهم اعتادوا أن يعبروا عن كل واحد من هذين المعنيين ، بكلمة خاصة ، مختلفة عن الاخرى اختلافاً كلياً ؛ انهم يعبرون عن المعنى الفقهى الذى ذكرته آنفاً بكلمة قريبة من الكلمة الفرنسية : Nationalitat ولكنهم يعبرون عن المعنى الثانى — عن المعنى الاجتماعى الذى ذكرته قبلا — بكلمة تختلف عنها اختلافاً أساسياً : Wolkstum

ولا غرابة فى اختلاف الفرنسيين والألمان فى هذه التسمية : ينتسب الفرنسيون إلى دولة قومية واحدة ، منذ قرون عديدة . ولذلك نجد ان كل فرد من أفراد الامة الفرنسية ، يتصف بالـ «ناسيوناليته الفرنسية» ، بكلا المعنيين اللذين ذكرتهما آنفاً ؛ فعدم التمييز بين المعنيين خلال الحديث لا يضر الفرنسى من الوجهة العملية . ولهذا السبب لم ير الفرنسيون محذوراً ما ، من التعبير عن هذين المعنيين بكلمة واحدة ، على الرغم من تمييز مفكريهم وفلاسفتهم بين المعنيين تمييزاً صريحاً .

واما الألمان ، فانهم كانوا — الى وقت قريب نسبياً — منقسمين إلى دول عديدة ؛ ولذلك كان التمييز بين المعنيين — أى بين المعنى القانونى والمعنى الاجتماعى — ضروريا بالنسبة اليهم ، ليس من الوجهة النظرية فحسب ، من الوجهة العملية أيضا . ولذلك فهم وضعوا لكل واحد من

المعنيين المذكورين كلمة خاصة به . ولا شك فى أنهم بهذا العمل ، كانوا أشد مراعاة لمقتضيات التحليل الفلسفى والاجتماعى ، ولتطلبات التعبير العلمى الصحيح .

واما نحن ، فلا أرانى فى حاجة إلى القول ، بانه يترتب علينا أن نقتدى بالألمان فى هذا المضمار ، ونستعمل كلمة خاصة للتعبير عن كل واحد من المعنيين المختلفين اللذين تدل عليهما كلمة Nationalité الفرنسية .

وبما ان المعنى الفقهى مثبت ومعين فى القوانين الموجودة حاليا بكلمة «الجنسية» فى مصر ، وكلمة « التابعية » أو « الرعوية » فى سائر البلاد العربية .. يجب علينا أن نصطلح على استعمال كلمة اخرى للتعبير عن المعنى الاجتماعى لكلمة اﻟ « ناسيوناليته»

وقد اعتدت أنا — واعتاد معى كثيرون من كتاب العرب ومفكريهم — استعمال كلمة « القومية » بهذا المعنى .

فالبولونى الذى كان يسكن فى المنطقة الروسية من بولونيا القديمة مثلاً ، كان روسياً من وجهة الجنسية أو التابعية القانونية ، ولكنه كان فى الوقت نفسه بولونياً من وجهة القومية . إن التابعية أو الجنسية البولونية كانت زالت من عالم الوجود بانقراض الدولة البولونية ؛ وأما القومية البولونية ، فقد استمرت عل الرغم من زوال تلك الدولة ، وتلك الجنسية أو التابعية .

واليونانيون الذين كانوا يسكنون ولاية يانيا العثمانية مثلا — قبل حرب البالقان — كانوا تابعين إلى الدولة العثمانية ، ولكنهم كانوا فى الوقت نفسه منتسبين إلى القومية اليونانية .

والعرب — من أهل الشام والعراق والحجاز — كانوا قبل الحرب العالمية

الأولى — من تبعة الدولة العثمانية ؛ ولكنهم كانوا فى الوقت نفسه من القومية العربية .

إن التمييز بين المعنيين المختلفين بهذه الصورة ، بكلمتين مختلفتين ، يساعد مساعدة كبيرة على إزالة الغموض السائد على أذهان الكثيرين منا فى هذه القضايا .

وعلى كل حال ، يجب علينا أن نعرف حق المعرفة أن الأمة شيء والدولة شيء آخر ؛ والفرق بينهما قد يكون من الوجهة العملية ضئيلا — فى بعض الأحوال ؛ ولكنه قد يكون كبيراً جداً فى أحوال أخرى .

والعالم العربى الآن ، فى حالة تجعل هذا الفرق هاماً وعظيما جداً .

ولذا يجب علينا أن نتجنب الخلط بين الأمة والدولة ، خلال تفكيرنا بالأمور الاجتماعية والسياسية التى تتعلق بالبلاد العربية .

— ٢ —

ولإظهار رأيى فى هذا الموضوع بوضوح أكبر ، أود أن أتوسع قليلا فى هذا البحث ؛ وألفت الأنظار إلى قطر عربى ، لايزال يتمخض الآن عن تكوين سياسى جديد . أعنى بذلك : القطر الليبى .

من المعلوم أن ليبيا كانت حتى سنة ١٩١٤ ولاية عثمانية ، تعرف باسم « ولاية طرابلس الغرب » . ثم أصبحت مستعمرة إيطالية عرفت باسم « تريپوليتانا » Tripolitana . وهى الآن سائرة نحو الاستقلال ، ولكنها معرضة إلى خطر التجزئة من الوجهة السياسية .

ذلك لأن الحرب العالمية الثانية جعلت هذا القطر العربى ميدان

صراع عنيف بين جيوش المحور و بين جيوش الحلفاء ؛ وخلقت فيه أوضاعاً جديدة .

أولا ، احتلت جيوش فرنسا الحرة ، القسم الجنوبى الذى تقع فيه مدينة فزان ؛ ثم احتلت الجيوش البريطانية القسم الشمالى الشرقى ، الذى تقع فيه مدينة « بنى غازى » والذى يعرف باسم برقة ؛ وفى الأخير ، حتلت الجيوش البريطانية القسم الباقى من القطر ، وهو القسم الشمالى تغربى ، الذى تقع فيه مدينة طرابلس الغرب والذى يعرف باسم ليبيا .

وطمعت فرنسا فى الاحتفاظ بمنطقة فزان التى كانت استولت عليها ، لضمها إلى مستعمراتها الافريقية ؛ وفعلا عهدت بإدارتها إلى حكامها العسكريين العاملين فى جنوب الجزائر .

كما طمعت انجلتره فى إبقاء منطقة برقة تحت نفوذها الدائم ؛ ولذلك اتخذت التدابير اللازمة لإجلاء جميع الإيطاليين عنها ، كما أنها أخذت تعد العدة لجعلها إمارة عربية خاضعة لنفوذها .

وأما منطقة طرابلس الغرب التى استولت عليها الجيوش البريطانية فى آخر الأمر ، فلم تر انكلتره لزوماً لتشميل نفوذها الدائم اليها ؛ ولم تقدم على إجلاء الإيطاليين المستعمرين عنها . بل أنها أرادت أن تسترضى إيطاليا ، باعادة سيطرتها على تلك المنطقة تحت ستار الوصاية . وكما تعلمون، اتفق بيفن مع اسفورزا ، على تقسيم القطر المذكور إلى ثلاث مناطق ، تكون الوصاية على واحدة منها لإيطاليا ، وعلى الثانية لفرنسا ، وعلى الثالثة لانكلتره .

وقد حبذت فرنسا هذه الخطة كل التحبيذ : لأنها كانت ترى أن قيام دولة عربية متاخمة لتونس ، يزلزل دعائم حكمها فى المغرب العربى ،

ويشجع أهاليها على طلب الاستقلال ، وعلى العمل فى سبيل الاستقلال . ولذلك رجحت فرنسا عودة الحكم الإيطالى إلى تلك المنطقة ، على قيام دولة عربية فيها .

ولهذه الأسباب تعرضت ليبيا إلى خطر التجزئة ، من جراء مطامع الدول الثلاث المذكورة .

ولكن ... مشروع بيفن اسفورزا ، قوبل — كما تعلمون — بمعارضة شديدة فى محافل هيئة الأمم المتحدة . بل أن إيطاليا نفسها — عند ما تأكدت من أن الوصاية لن تعطى لها — صارت ترجح عدم تجزئة القطر الطرابلسى ، وأخذت تدعو الدول المحبة لها الى العمل فى هذا السبيل .

وفى الأخير قرر مجلس هيئة الأمم المتحدة ، عدم تجزئة ليبيا ، على أن تؤسس فيها دولة مستقلة ، قبل سنة ١٩٥٢ .

بذلك تخلصت ليبيا من الخطر الذى كان داهمها . ولكنها، هل تخلصت من هذا الخطر نهائياً ؟ إنى أشك فى ذلك كثيراً . لأن كل الأمور تدل دلالة واضحة على أن المطامع الاستعمارية لا تزال تعمل عملها هناك ، وأنها تتخذ كل الوسائل الممكنة لتحقيق بغيتها ، ولو عن طرق ملتوية .

ومن أبرز الأدلة على استمرار هذه الأطماع والأعمال : أن المجلس الاستشارى الذى ألفه مندوب هيئة الأمم المتحدة هناك ، يستند إلى فكرة المناطق الثلاث ، إذ تمثل فيه كل منطقة بعدد متساو من الاعضاء ، على الرغم من تفاوت عدد سكان هذه المناطق الثلاث تفاوتاً كبيراً جداً . إذ أن مجموع نفوس فزان لا يزيد على ٥٠,٠٠٠ فى حين أن مجموع سكان برقة يقرب من ١٥٠,٠٠٠ ، ومجموع سكان ليبيا يزيد على ٧٥٠,٠٠٠ .

وخلاصة القول : كل شىء يدل على أنه لا يزال أمام ليبيا ، وأمام جامعة الدول العربية ، وأمام هيئة الامم المتحدة ... مهمة شاقة ، للقضاء على المطامع الاستعمارية التى تحوم حول ليبيا ، ولدفع خطر التجزئة الذى لا يزال يتهددها .

* * *

إنى لم أتطرق إلى ذكر القضية الليبية بغية معالجتها من وجهة السياسة العملية ؛ إنما تطرقت إليها ، لاتخذها وسيلة للبحث فى السياسة النظرية وفى الإجتماع السياسى .

أود أن نفرض الآن — فرضاً — أن مشروع بيفن اسفورزا بعث من مرقده ، ونفذ فعلا ؛ وأن نتأمل ما ذا كان ينتج عن تنفيذ ذلك المشروع ، بعد مدة من الزمن :

يعود الحكم الإيطالى والنفوذ الإيطالى إلى منطقة طرابلس الغرب، — التى تستأثر بتعبير ليبيا — ، تحت ستار الوصاية ؛ فتستمر إيطاليا على طلينة البلاد : تنشر فيها لغتها وثقافتها ، وتستن لها قوانين وأنظمة متماشية مع قوانينها وأنظمتها ، وتدخل اقتصادياتها ضمن النظام الإقتصادى الإيطالى العام . .

وفرنسا بدورها تنشر لغتها فى منطقة فزان التى تحكمها تحت ستار الوصاية . وتضع لها قوانين وأنظمة خاصة ، مسايرة لتلك التى وضعتها فى تونس والجزائر . وتوجه اقتصادياتها الوجهة التى يقتضيها النظام الاقتصادى الفرنسى ، بطبيعة الحال .

وانكلترة من جهتها تسير على خطة خاصة بها ، مختلفة عن خطط

صاحبتيها ، ومتمشية مع السياسة العامة التى تقررها للبلاد التى تدخل تحت نفوذها .

وهكذا ، يحدث شيء من التغاير والتخالف بين هذه المناطق الثلاث، من حيث الأوضاع الادارية والاقتصاديه والثقافية . . . وهذا التخالف ، يزداد ويتقوى شيئا فشيئا ، بمرور الزمان .

وإذا ما نالت — بعد مدة — هذه المناطق الثلاث ، شيئا من الحكم الذاتى ، وسارت فى سبيل الاستقلال . . تكونت عليها ، ثلاث دول عربية ، يختلف بعضها عن بعض من حيث الأوضاع السياسية والاتجاهات الاقتصادية . .

أنا لا أود أن أتوسع فى شرح النتائج التى تترتب على الفرض الآنف الذكر .

بل أود أن أسأل هذا السؤال ، لأطلب منكم جوابا له — على ضوء الاحتمالات التى سردتها آنفا — : ماذا كان يترتب على أهالى هذه المناطق الثلاث ، من الواجبات الوطنية ، لو كانت الدول المتحالفة أقرت مشروع التجزئة والوصاية ، وعهدت إلى كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا . . السير بالمنطقة التى وضعت تحت وصايتها نحو الحكم الذاتى والاستقلال بصورة تدريجية . . وتركتها تعمل بالأساليب التى برعت فيها فى الماضى ؟

هل كان يترتب على الأهلين أن يخضعوا للأمر الواقع ؟ ثم يأخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن هذه الأوضاع التى أوجدتها مطامع الدول المستعمرة ؟

هل كان يجوز لسكان طرابلس الغرب — مثلا — أن يقولوا : نحن

ليبيون ، نحمل الجنسية الليبية ، ونتمتع برعوية الدولة الليبية ، فما لنا ولأهالى تلك البلاد التى تمتد وراء حدود ليبيا ؟ ما لنا نحن ولهؤلاء البرقاويين ؟

وهل كان يجوز لسكان بنغازى — كذلك — أن يقولوا : نحن برقاويون ؛ نحمل الجنسية البرقاوية ، ونتمتع برعوية الدولة البرقاوية ؛ فما لنا ولهؤلاء الذين يقطنون خارج حدودنا ؟ ما لنا نحن ولهؤلاء الليبيين ؟

إنى أعتقد اعتقاداً جازماً أن جواب جميع الحاضرين هنا ، سيكون : كلا !. بل كان يترتب على هؤلاء جميعاً أن يبقوا محتجين ومعارضين لهذه الأوضاع التى فرضت عليهم فرضاً . . كان يجب على جميع هؤلاء — ليبيين ، و برقاويين ، وفزانيين — أن يظلوا مطالبين بالاتحاد ، وعاملين للاتحاد . . . .

إنى لا أشك فى أنه لايوجد هنا من يتردد فى الإشتراك فى هذا الحكم. لأن كل ما قرأته من مقالات فى الجرائد ، وكل ما سمعته من أحاديث فى المجالس ، يدل دلالة قاطعة ، على أن جميع أهالى البلاد العربية — وخاصة جميع أهل مصر — يقولون بوحدة القطر الطرابلسى ، ويستهجنون فكرة تقسيم هذا القطر إلى دويلات ، ويسلمون بوجوب العمل على منع التجزئة وضمان الاتحاد فى هذا القطر العربى الذى نكب بأفظع ألوان الاحتلال والاستعمار . .

— ٣ —

بعد الوصول إلى هذه النتيجة المنطقية عن أحوال القطر الطرابلسى التى نشاهدها فى الحالة الحاضرة . . اسمحوا لى أن أقول : أن أوضاع البلاد العربية التى انفصلت عن الدولة العثمانية قبل نحو ثلث قرن ، كانت — فى ذلك التاريخ — مماثلة كل المماثلة إلى أوضاع ليبيا الآن .

فان القضية القائمة عندئذ ، كانت القضية العربية بوجه عام ، لا القضية السورية ، أو العراقية ، أو الأردنية ، أو الحجازية .. بوجه خاص .

قلبوا صحائف تاريخ القضية العربية ؛ تجدوا أن النادى الذى تأسس فى الآستانة — بعد إعلان الدستور — لجمع شمل العرب ، كان يحمل اسم « النادى العربى » .

ورئيس النادى المذكور — الشهيد عبد الكريم الخليل — عندما فاوض رجال الحكم فى عاصمة السلطنة ، بعد حرب البالقان وبعد مؤتمر باريس ، فاوضهم كممثل للشبيبة العربيـة ، لا كممثل للشعب السورى أو اللبنانى أو العراقى . اقرأوا الاتفاقية التى انتهت إليها المفاوضات المذكورة ، تجدوا فى عنوانها إشارة صريحة على أنها عقدت بين ممثل الشبيبة العربية ، و بين ممثل الحزب الحاكم فى الدولة العثمانية . استعرضوا موادها الاثنتى عشرة ، لا تجدوا فيها أى ذكر لسوريا أو العراق أو لبنان ؛ بل تجدوا فيها على الدوام أحكاماً تتعلق بالعرب ، و بحقوق العرب ، و باللغة العربية بوجه عام .

والثورة التى قامت من الحجاز ، لم تكن ثورة حجازية ، بل كانت ثورة عربية بكل معنى الكلمة : اشترك فيها عدد كبير من شبان العرب — المدنيين والعسكريين — من مختلف البلاد العربية .

اقرأوا المكاتبات التى جرت بين الملك حسين و بين السر ماكماهون ، تجدوا أنها كانت خالية من أسماء سوريا والعراق ولبنـان . أنكم تجدون فى هذه المكاتبات ، ذكراً عابراً لبعض المدن ؛ ولكنكم لا تجدون فيها أى ذكر لهذه الأسماء التى أصبح كل منها فيما بعد علماً لدولة من الدول العربية التى تعرفونها الآن .

وجيش الثورة الذى حرر سوريا الداخلية ، و بدأ يحكمها فى بادىء الأمر حكماً عسكريا — مراعاة للقواعد الدولية المقررة فى مثل هذه الأحوال — كان هو أيضاً جيشاً عربياً .

كما أن مجلس المديرين الذى تألف بعد مدة - لوضع الأساس لحكومة مدنية — كان مجلساً عربياً ، يضم رجالا من مختلف الأقطار العربية : فان رئيس المجلس المذكور كان حجازياً ، ونائب رئيسه كان سورياً؛ وكان مدير الشؤون العسكرية فيه عراقياً ، ومدير الأمور العدلية لبنانياً ، ومدير الأمور المالية فلسطينياً .

إنى أصفهم الآن بهذه الصفات ، بناء على الأوضاع التى حدثت — والاصطلاحات التى تقررت — فيما بعد . وأما حينذاك، فانى أؤكد لكم بأن هذه الأسماء وهذه الصفات كانت بعيدة عن الأذهان . وأنا شخصياً ، أؤكد لكم كل التأكيد ، بأننى ما كنت أعرف لهؤلاء الزملاء ، صفة غير صفة العروبة بوجه عام ....

* * *

نعم ، إن مدير الأمور العسكرية كان عراقياً ؛ وهو ياسين الهاشمى ، الذى صار فيما بعد زعيماً كبيراً ، ولعب دوراً هاماً فى تاريخ سياسة العراق.

ومدير الأمور العدلية كان لبنانياً ؛ وهو اسكندر عمون ، والد فؤاد عمون الذى هو الآن وكيل وزارة الخارجية فى لبنان ، والذى يحضر المؤتمرات الدولية ، واجتماعات جامعة الدول العربية ، موفداً من الجمهورية اللبنانية .

وأما مدير الأمور المالية ، فكان السيد أحمد حلمى ، الذى عرفتموه

في السنين الأخيرة ، كرئيس لحكومة عموم فلسطين .

ولأجل أن أعطيكم فكرة أتم من ذلك ، عن الاوضاع التى كانت قائمة عندئذ ، أود أن أذكر لكم بضع حقائق أخرى :

عند ما أعلن استقلال سوريا ، وتألفت وزارتها الاولى، كان قد تولى وزارة الداخلية فيها ، السيد رضا الصلح ، وهو والد السيد رياض الصلح ، الذى يقوم بأعباء رئاسة الوزارة فى الجمهورية اللبنانيه، منذ سنوات عديدة .

— ٤ —

ترون من كل ذلك ، أننى لم أكن مغالياً أبداً ، عند ما قلت : أن أوضاع البلاد العربية التى انفصلت عن الدولة العثمانية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى — قبل ثلث قرن — كانت مماثلة لأوضاع ليبيا الآن ، مماثلة كبيرة .

لماذا انقسمت البلاد العربية عندئذ ، وتجزأت إلى دول عديدة ؟ هل لوجود خلاف بين الأهالى من وجهة المصالح أو النزعات ؟ كلا ، بل إنها انقسمت إلى دول عديدة ، بسبب اتفاق الدول الطامعة فيها .

إنها لم تنقسم مراعاة لمصالح الأهلين ، إنما انقسمت تنفيذاً لرغائب المحتلين الطامعين :

كانت فرنسا تسعى منذ قرون عديدة لبسط نفوذها وحكمها على سوريا وكانت انكلترة ترى من مصلحتها أن تدخل البصرة و بغداد تحت حكمها، لإتمام سيطرتها على جميع الأبواب والطرق الموصلة إلى الهند .

فما كادت الحرب العظمى تبدأ ، إلا وشرع رجال الدول المتحالفة يقومون بمفاوضات سياسية ، لتقرير كيفية اقتسام ميراث الدولة العثمانية بينهم ، بعد القضاء عليها .

ركزت روسيا عندئذ مطالبها حول المضائق من جهة ، وحول شرق الأنضول من جهة أخرى ؛ وتركت البلاد العربية إلى فرنسا وانكلترة ، تقتسمها كما تشاء ، على أن تكون « مدينة القدس تابعة إلى إدارة دولية ، لما لها من قدسية وحرمة لدى جميع المسيحيين » .

واتفقت فرنسا وانكلترة ، بعد مفاوضات طويلة ، أولا على ترك الحجاز وسائر أقسام الجزيرة العربية ، خارجاً عن مشروع الاقتسام ؛ وثانياً ، على تقسيم سائر الولايات العربية إلى أربع مناطق : تترك إحداها لفرنسا ، تتصرف بها كما تشاء ؛ وإحداها لانكلترة ، كذلك تتصرف بها كما تشاء ؛ وتنشأ فى إحداها أمارة أو أمارات عربية تكون تحت نفوذ بريطانيا ؛ كما تنشأ فى المنطقة الرابعة أمارة أو أمارات عربية تكون تحت نفوذ فرنسا .

عندما عقدت هذه الاتفاقية — التى عرفت فيما بعد باسم اتفاقية سايكس بيكو ، بالنسبة إلى اسمى المندوبين اللذين تفاوضا فى شأنها — كانت انكلترة قد أتمت احتلال جنوب العراق ، ثم أخذت تزحف نحو الشمال . وواصلت الزحف إلى أن احتلت ولاية الموصل أيضاً .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت الجيوش البريطانية تقدمت من جهة العريش واحتلت فلسطين . وفى الأخير ، تقدمت جيوش الثورة العربية من الحجاز إلى بر الشام ، واحتلت دمشق ؛ ثم واصلت الزحف إلى أن احتلت حلب أيضاً .

وبعد الهدنة ، سمح القائد العام الجنرال آللنبى للجيوش الفرنسية ، باحتلال المنطقة الساحلية من سوريا . وانقسمت بذلك الولايات العربية

الممتدة بين سواحل البحر المتوسط وبين سفوح جبال إيران ، إلى أربع مناطق عسكرية ، إحداها فى العراق ، وثلاث منها فى سوريا ولبنان وفلسطين .

وبعد مدة ، هاجم الفرنسيون سوريا الداخلية ، واستولوا عليها ؛ وأخذوا يديرون شئونها ، حسب ما تقضيه « مصالحهم الحديثة وتقاليدهم القديمة » .

ترون من كل ذلك ، بكل وضوح وجلاء : أن السبب الأصلى فى انقسام الولايات العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية ، يعود إلى هذه الاتفاقات السياسية والحركات العسكرية .

***

إن هذه الحقيقة تظهر لنا بوضوح أكبر ، عندما نبحث عن أسباب تكوين المملكة الأردنية :

إن أراضى المملكة المذكورة ، كانت فى العهد العثمانى متصرفية تابعة إلى ولاية سوريا أى الشام . وظلت متصرفية فى عهد الحكومة العربية السورية الأولى أيضاً .

ولكن . . فرنسا وانكلتره ، كانتا اتفقتا على تحديد مناطق نفوذهما بخط العرض الذى يمر من جنوب جبل الدروز وحوران . ولذلك عندما استولت فرنسا على أراضى الدولة السورية ، لم تحتل البلاد الكائنة جنوب الخط المذكور ، وتركت تقرير مصير هذا القسم من سوريا إلى انكلتره ، مراعاة لأحكام اتفاقاتهما السابقة . وأما انكلتره ، فلم تشأ أن تحتل هذه

المنطقة احتلالا مباشراً ؛ كما أنها لم تر من الحكمة إلحاقها بفلسطين أيضاً ؛ لأنها كانت مرتبطة فى فلسطين بوعد بلفور المشهور ، ولم تر لزوماً لتشميل نطاق الوعد المذكور إلى هذه المنطقة الداخلية . ولهذه الأسباب العديدة ظلت منطقة « شرق الأردن » منفصلة عن سوريا وعن فلسطين فى وقت واحد . فصارت أمارة خاضعة لانتداب انكلتره ، ثم تحولت إلى مملكة .

وترون من ذلك بداهة أن أسباب انفصال الأردن عن سائر البلاد العربية ، إنما تعود إلى الاتفاقات المعقودة بين فرنسا وانكلتره من ناحية ، وإلى الخطط السياسية التى سارت عليها انكلتره فى البلاد العربية من ناحية أخرى فلا تمت بأية صلة كانت إلى منازع الأهلين ومصالح البلاد .

— ٥ —

والحدود ، الفاصلة بين هذه الدول العديدة ، كيف تقررت ؟ عند ما نستقصى الوقائع والحقائق ، نجد أن ذلك أيضاً يعود إلى مساومات الدول الأجنبية واتفاقاتها .

فإن الموصل مثلا ، كانت داخلة فى المنطقة الفرنسية ، بموجب اتفاقية سايكس بيكو . ولكن انكلتره ، بعد أن استولت عليها بجيوشها ، لم تشأ أن تتركها إلى فرنسا . فأخذت تطالب حليفتها بتعديل الإتفاقية المذكورة ، بحجة تبدل الأوضاع العامة ، بعد خروج روسيا من صفوف الدول المتحالفة . والمساومات التى جرت بين الطرفين انتهت بتنازل فرنسا عن عن المطالبة بالموصل ، مقابل عدول انكلتره عن طلب إنشاء دولة مستقلة فى سوريا الداخلية ، وموافقتها على اعطاء حصة لفرنسا من نفط الموصل ؛ فلولم تجر تلك المساومات ، فتؤدى إلى تعديل اتفاقية سايكس بيكو ،

لدخلت الموصل تحت نفوذ فرنسا بصورة فعليـة ، ولأصبحت جزءاً من سوريا الحالية .

وبعكس ذلك ، فان دير الزور — التى هى الآن محافظة تابعة إلى الجمهورية السورية — كانت فى بادىء الأمر تابعة الى العراق ؛ وكان قد احتلها الجيش البريطانى ، وأنشأ فيها إدارة عسكرية يرأسها حاكم بريطانى يتلقى أوامره من بغداد . ولـكن . . بعد تقدم جيش الثورة الى شمال سوريا ، وبدء الحكم العربى هناك ، ثارت العشائر القاطنة فى دير الزور على الانجليز ، وحاصرت القوة المرابطة فيها ولم تر الإدارة البريطانية أن تجرد حملة عسكرية على العشائر الثائرة لفك الحصار عن حاميتها المحصورة؛ فتركت المنطقة إلى جيوش الثورة العربية ، على أن تتخذ التدابير اللازمة لتخليص الحامية من الحصار ، وإيصال الانكليز الموجودين فى دير الزور إلى بغداد .

وبهذه الصورة انتقلت دير الزور من العراق إلى سوريا ؛ وإلا ، لرأيناها اليوم فى عداد متصرفيات العراق ، لا فى عداد محافظات سوريا . .

*
* *

أعتقد أن الحقائق والوقائع التى ذكرتها آنفاً ، لا تترك مجالا للشك فى أن انقسام الولايات العربيـة إلى دول عديدة ، إنما حدث من جراء مساومات الدول الأجنبية ومطامعها ، لا من جراء نزعات أهالى البلاد ومصالحهم كما أن تخوم الدول المذكورة تقررت بنـاء على رغبات تلك الدول الأجنبية واتفاقاتها ، لا بناء على ضرورات الأوضاع الطبيعية أو بناء على مقتضيات المصالح المحلية .

كما أنها تؤيد تأييداً قاطعاً ما قلتـه آنفا ، من أن أوضاع الولايات العربية ، قبل ثلث قرن ، كانت مماثلة تمام المماثلة لأوضاع ليبيا الآن .

أفلا يحق لى أن أقول إذن : يجب علينا أن ننظر إلى أمور هذه الدول العربية ، بنفس المنظار الذى نظرنا به إلى قضايا المناطق الليبية ؟

أفلا يحق لى أن أتساءل : كيف يجوز لأهالى هذه الدول العربية ، أن ينسوا هذا الماضى القريب — الذى لم ينقطع جيـل شهوده وعماله بعد — ، وأن يتمسكوا بأهداب هذه التقسيمات التى فرضت عليهم فرضا ، من قبل الدول التى احتلت بلادهم ؟

كيف يجوز لنا أن نعتبر — مثلا — أهل سوريا أمة قائمة بذاتها ، مختلفة عن أهل العراق ، وأهل لبنان ؟

كلا ، أيهـا السادة ! إن كل ما سردته وشرحته آنفا ، يدل دلالة قاطعة ، على أن الفروق التى تظهر لنا الآن بين أهالى هذه الدول العديدة إنما هى فروق عارضة سطحية ، لا تبرر قط اعتبـارهم منتسبين الى أمم مختلفة . . . لمجرد انتسابهم الى دول مختلفة ، تكونت كلها ، من جراء المناورات والمساومات التى قامت بها الدول الأجنبية .

فيجب علينا أن لا نتردد فى القول بأن السوريين والعراقيين واللبنانيين والأردنيين والحجازيين واليمانيين . . كلهم ينتسبون الى أمة واحدة ، هى : الأمة العربية .

وإذا جاز لنا أن نعتبر كلا منهم شعباً مختلفاً عن غيره بعض الاختلاف ، — من جراء الأوضاع التى حدثت بعد الحرب العالمية الاولى — ، وجب علينا

أن نسلم فى الوقت نفسه ، بان جميع هـذه الشعوب ، انما هى من فروع الامة العربية .

— ٦ —

انى تـكلمت إلى الآن ، عن البلاد العربية التى كانت ظلت تحت الحـكم العثمانى المباشر حتى الحرب العالمية الاولى .. ولم أتطرق إلى ذكر أحوال مصر أبداً .

وأنا لا أشك فى ان غـير واحـد منكم قال فى نفسه — خلال سماع حديثى هذا — : ان كل ذلك، إن صح بالنسبة إلى سائر البلاد العربية، فلا يصح بالنسبة إلى مصر .

ولذلك ، أرى الآن ، أن أنقل الـكلام إلى مصر نفسها، واستعرض علاقاتها بهذه القضايا ، لاتمام البحث من هذه الوجهة أيضاً :

من المعلوم ان شؤون مصر السياسية سارت — خلال الفترة الزمنية التى تـكلمت عنها آنفاً — سـيراً خاصا ، يختلف عن سير شؤون البلاد العربية الاخرى اختلافا بيناً .

وذلك لأن مصر، كانت انفصلت عن السلطنة العثمانية انفصالا فعليا ، قبل انفصال سائر البلاد العربية عنها ، بمدة تناهز ثلاثة أرباع القرن .

ومنيت مصر — بعد ذلك — بمشاكل ورزايا خطيرة ، جعلتها تنكمش على نفسها — من الوجهتين المادية والمعنوية — ، فلا تعودتهم بما يجرى خارج حدودها ، حتى فى البلاد العربية المتاخمة لها .

ولهذا السبب ، بقيت مصر خارجة عن نطاق الحركات القومية العربية ، التى تخمرت وتبلورت خلال العقدين الاولبين من القرن الحالى .

هذا ، ومما يجب أن لا يغرب عن البال ، أن المساومات والمناورات السياسية التى جرت بين الدول الأوروبية المتحالفة خلال الحرب العالمية الأولى ، لم تشمل مصر . لأن المساومات المتعلقة بها كانت انتهت قبل نشوب الحرب المذكورة بعشر سنوات ، وذلك عندما كانت اتفقت الدول المذكورة على كيفية اقتسام الحكم والنفوذ فى أفريقا الشمالية .

ولهذه الأسباب كلها ، اتجهت مقدرات مصر السياسية، خلال الحرب العالمية المذكورة، — وخلال السنين الخمس التى أعقبتها — اتجاها يختلف عن اتجاه المقدرات السياسية التى سادت سائر البلاد العربية .

ولا نغالى اذا قلنا : ان الظروف السياسية — الداخلية والخارجية — التى أشغلت مصر ، منذ أواخر القرن الماضي ، أقامت حولها سداً معنويا ، يحول دون اتصالها بسائر البلاد العربية ، كما يخفى عن أنظار اهتمامها كل ما يجرى ويحدث فى تلك البلاد . وبتعبير آخر : ان هذا السد المعنوى أدى بمصر إلى الانعزال عن سائر أقسام العالم العربى، انعزالا يكاد يكون تاما .

وهذا الانعزال المعنوى ، وصل إلى حده الأقصى خلال العقدين الاولين من القرن الحالى . ولم يأخذ فى السير نحو التضاؤل والتلاشي ، الا خلال الربع الثانى من هذا القرن .

ومما تجب ملاحظته فى هذا المضمار ، أن معظم رجال الفكر والقلم المعروفين فى مصر الآن ، كانوا قد نشأوا فى عهد هذا الانعزال . وصاروا يتوهمون الآن أن مصر كانت منعزلة عن سائر البلاد العربية — ومنكمشة وراء حدودها الحالية — من قديم الزمان .

اننى لاحظت — مع الأسف — آثار هذا الوهم الخاطىء عند عدد غير قليل من اخواننا المصريين .

فى حين ان الخروج عن نطاق هـذا الماضى القريب — والرجوع قليلا إلى الوراء فى فضاء الزمان — يكفى للبرهنة على ان هذا الظن يخالف الحقائق الراهنة مخالفة كلية .

فلنفكر أولا : متى وكيف تقررت حدود مصر الحالية ؟

اننا إذا رجعنا إلى عهد محمد على الـكبير ، تذكرنا على الفور ، أن حكمه كان شمل سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز ، وان هـذا الحـكم لم يتقلص وراء حدود مصر الحالية ، إلا من جراء تدخلات الدول الأوروبية ومناوراتها السياسية ، وتهديداتها العسكرية . لأن انـكلترة عارضت سياسة محمد على معارضة شديدة ؛ واستطاعت أن تؤلب عليه عدة دول أوروبية ؛ ولجأت إلى جميع وسائل التهديد والاكراه ، حتى انها لم تتردد فى استعمال القوة بصورة فعلية ، إلى أن اضطرت محمد على إلى الانسحاب وراء حدود مصر الحالية .

ولولا هذه التدخلات البريطانية الأوروبية ، لـكانت مصر وسوريا « دولة واحدة » منذ عهد محمد على ، ولاعتبر السوريون والمصريون من جنسية واحدة ، منذ مدة تناهز القرن وربع القرن .

قد يقال : إن هذا فرض وتخمين ؛ ولا يجوز بناء الأحكام على أمثال هذه الفرضيات والتخمينات .

ولـكنى أستطيع أن أذكر سلسلة طويلة من الحقائق الثابتة ، التى تؤيد قولى هذا ، دون أن ألجأ إلى شىء من الفرض والتخمين .

لنرجع قليلا إلى الماضي الأبعد ، لنبحث : أين كانت حدود مصر ، في عهد المماليك ؟

كلكم تعلمون أنها كانت تشمل عندئذ سوريا ولبنان ، وفلسطين والحجاز . . فعلا ، لا فرضا ؛ لا تنسوا أن التحام جيوش المماليك بجيوش السلطان سليم العثماني ، لم يبدأ بالقرب من حدود مصر الحالية ، انما بدأ في سهول سوريا الشمالية . وقانصوه الغورى المشهور ، لم يستشهد في معركة وقعت داخل حدود مصر الحالية ، بل انما استشهد خلال معركة وقعت في مرج دابق ، وهو سهل يقع بالقرب من مدينة حلب ، البعيدة عن حدود مصر الحالية بعداً كبيراً . . .

إذن فان التاريخ يشهد شهادة قاطعة على ان مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والحجاز ، كانت كلها دولة واحدة ، طوال عهد المماليك الذى استمر مدة تزيد على قرن ونصف قرن . .

هذا ، وإذا رجعنا إلى ما قبل ذلك ، واستعرضنا أحوال الدولة الأيوبية . . ، وجدنا أن مصر لم تكن منكمشة وراء حدودها الحالية في ذلك العهد أيضاً : فان تاريخ مصر وتاريخ سوريا ، اختلطا وسارا في مجرى واحد طوال عهد الدولة الأيوبية . .

وأما قبل ذلك ، فهل كانا التاريخان المذكوران منفصلين بعضهما عن بعض ؟ كلا ، فان حدود الدولة الفاطمية ، كانت تمتد من بر الشام حتى سواحل المحيط الاطلسي ، وكانت تشمل سوريا والحجاز من جهة ، وتونس والمغرب الأقصى من جهة أخرى .

ويجب علينا أن لا ننسى ان الايوبيين أتوا من بلاد الشام، والفاطميين أتوا من بلاد المغرب.

واما قبل الفاطميين، فى عهود الأمويين والعباسيين . فلا شك فى ان كلكم تعلمون أن الأمر كان أبرز وأوضح من كل ما سبق : فان مصر كانت فى تلك العهود، من أجزاء امبراطورية عربية واسعة الأرجاء، تمتد حدودها من قلب قارة آسيا، حتى أقصى بلاد المغرب فى قارة أفريقا.

قد تقولون أن مصر استقلت عن الدولة العباسية فى عهد الطولونيين أولا وفى عهد الاخشيديين ثانيا؛ ولكنى أقول : أن حدود مصر لم تقف فى أواسط صحراء سينا، حتى فى العهدين المذكورين . بل انها كانت تمتد — عندئذ أيضا — إلى ما وراء تلك الصحراء، وكانت تشمل سوريا الجنوبية بأجمعها . . .

ويظهر لكم من هذا الاستعراض السريع، أن تاريخ مصر، كان يسير فى مجرى مشترك مع تواريخ سائر الأقطار العربية، منذ مدة تزيد على ألف ومائتين من السنين؛ ولم تنكمش مصر وراء حدودها الحالية الا منذ قرن واحد تقريباً .

ولذلك كله، نستطيع أن نقول : ان أوضاع مصر فى هذا المضمار، لا تختلف عن أوضاع سائر البلاد العربية اختلافا جوهريا ..

فلا مجالا للشك فى أن مصر من البلاد العربية . . . طالما تشترك مع جميع تلك البلاد، فى اللغة ، وفى الثقافة، وفى هذا التاريخ الطويل . . . فضلا عن اشتراكها فى المصائب والمخاطر . . وفضلا عن اتصالها بها اتصالا جغرافيا مباشراً، يجعلها فى موضع القلب من هذا العالم العربى الفسيح . .

إن الشعب المصرى ، شعب عربى ، مثل الشعب العراقى والشعب السورى ، والشعب الحجازى ، والشعب التونسى . . .

— ٧ —

أظن أن الحقائق التى استعرضتها وشرحتها آنفا ، تكفى لإعطاء الجواب الصحيح على الأسئلة التى ذكرتها فى مستهل هذا الحديث :

إن كل الشعوب التى تتكلم العربية — كل الشعوب الناطقة بالضاد ، حسب التعبير المشهور — هى عربية . .

وكل فرد ينتسب إلى أحد هذه الشعوب ، هو عربى . .

° ° °

وقد يسألنى البعض : أنت تقول أن كل فرد ينتسب إلى أحد هذه الشعوب هو عربى . ولكن ، إذا لم يرد هو أن يكون عربياً ؟ إذا لم يعترف هو بأنه عربى ؟ وإذا لم يعتز بالعروبة ، بل يأنف منها ؟ كيف نستطيع أن نعتبره عربياً فى هذه الأحوال ؟ ألم يكن من الأوفق أن نقول : العربى ، هو من يريد أن يكون عربياً ؟ أو على الأقل ، أن نجعل هذه الإرادة شرطاً من شروط العروبة ؟

وأما أنا ، فقبل الإجابة على هذه الأسئلة ، أود أن أنقل الحديث من بحث القومية العربية العامة إلى بحث الجنسية المصرية الخاصة ، وأتساءل : هل أننا عند ما نحاول تعريف الجنسية المصرية — مثلا — نشترط مثل هذه الشروط ، ونسأل مثل هذه الأسئلة ؟

وهل يخطر على بال أحد منا أن يقول : أن الإنسان لا يعتبر مصرياً ،

إلا إذا أراد هو أن يكون مصرياً ، أو إذا اعترف بمصريته ، أو إذا اعتز هو بالجنسية المصرية ؟ .

كلكم تعلمون : أن ابن المصرى يعتبر مصرياً ، شاء هو أو لم يشأ ، اعتز هو بالمصرية أو لم يعتز . أنه مصرى بحكم العرف والقانون . وأما اذا لم يعرف هو ذلك ، أو لم يعترف بذلك ... فذلك يكون إما لأنه جاهل ، يحتاج إلى التعليم ؛ وإما لأنه غافل ، يحتاج إلى الإيقاظ ؛ وإما لأنه خائن ، يستحق العقاب .

وكذلك الأمر فى القومية العربية : أن كل شعب يتكلم العربية ، هو شعب عربى . وكل من ينتسب إلى شعب من هذه الشعوب العربية ، هو عربى . . وأما إذا لم يعرف هو ذلك . . ولم يعتز بالعروبة . . فعلينا أن نبحث عن الأسباب التى تحمله على الوقوف هذا الموقف .

فقد يكون ذلك ناتجاً عن الجهل ؛ فعلينا أن نعلمه الحقيقة . . وقد يكون ناشئاً عن الغفلة والانخداع ؛ فعلينا أن نوقظه ونهديه سواء السبيل . وقد يكون ناتجا عن فرط الأنانية ؛ فيجب علينا أن نعمل للحد من أنانيته . . ومهما كان الأمر ، فلا يجوز لنا أن نقول : « إنه ليس بعربى ، ما دام لا يريد أن يكون عربيا ، أو ما دام لا يعترف بعروبته ، أو ما دام يأنف من العروبة » . . إنه عربى شاء هو أم لم يشأ ، اعترف هو أو لم يعترف بذلك فى الحالة الحاضرة . . إنه عربى . . جاهل ، أو غافل ، أو عاق ، أو خائن . . ولكنه عربى على كل حال : عربى فاقد الوعى والشعور . . وربما كان فى الوقت نفسه : فاقد الضمير . .

* * *

أعتقد أن هذه الملاحظات واضحة ، وهى كافية لإزالة الشكوك من الأذهان .

ومع هذا ، أنا لا أجهل أن البعض قد لا يتخلص من الشك فى هذا الأمر ، بسهولة ، وذلك لأن نظرية « الإرادة والمشيئة » فى القومية ، هى من النظريات التى أشاعها الكتاب الفرنسيون حول معنى « الأمة » . وهى اشتهرت بوجه خاص بالخطبة التى نشرها أرنست رينان، تحت عنوان « ما هى الأمة ؟ » . وأنا أعرف أن الآراء المسرودة فى الخطبة المذكورة قد شاعت فى كثير من المحافل العربية ، ولا سيما فى سوريا ولبنان ، بسبب شيوع الكتابات الفرنسية والآراء الفرنسية .

ولذلك أرى من الضرورى أن أتوسع فى بحث هذه النظرية بشىء من التعمق ، لإظهار الحقيقة فى هذه القضية الهامة ، ولإزالة جميع الشكوك من جميع الأذهان :

لقد انتشرت فكرة القوميات فى أوروبا ، وصارت تؤثر فى سير السياسة الدولية تأثيراً فعالا ، منذ أوائل القرن الماضى . إلا أن الكتاب والعلماء اختلفوا كثيراً فى تحديد مفهوم القومية فى أواسط القرن المذكور ؛ وهذا الاختلاف نشأ — بوجه خاص — بين الفرنسيين و بين الألمان ، وذلك من جراء اختلاف مصالحهم إزاء قضايا القوميات :

كان الألمان يقولون ، منذ أوائل القرن التاسع عشر ، أن أساس القومية ومعيارها الصحيح هو اللغة . فكل المتكلمين بالألمانية ، هم ألمان ، مهما كانت الدولة أو الدويلة التى ينتسبون إليها . لأن الألمان كانوا عندئذ

منقسمين إلى دول ودويلات كثيرة، وكانوا ينزعون إلى الإتحاد لتكوين دولة واحدة.

وأما الفرنسيون فكانوا فى أوضاع تختلف عن أوضاع الألمان مخالفة تامة: لأن فرنسا كانت أتمت وحدتها السياسية منذ قرون عديدة، وكانت استولت على بعض البلاد التى لا يتكلم أهلوها باللغة الفرنسية. وفضلا عن ذلك كله، كانت تطمح منذ أجيال عديدة إلى توسيع أراضيها فى الشمال، بغية الوصول إلى حدود طبيعية. وهذه الحدود الطبيعية كانت — فى نظر رجال فرنسا السياسيين والعسكريين — هى نهر الراين. ومن المعلوم أن الشعوب القاطنة والدول والدويلات القائمة هناك، كانت كلها ألمانية اللغة.

ولذلك، فان التسليم بالنظرية الألمانية كان من شأنه أن يحول دون تحقيق هذه الأطماع العريقة. وفضلا عن ذلك، كان يعرض بعض الأيالات الفرنسية إلى خطر الانفصال؛ فكان من مصلحة الفرنسيين أن يعارضوا هذه النظرية أشد المعارضة.

ولكن كيف، وبأية طريقة؟ إن كتاب فرنسا ومفكريها، لم يجدوا سبيلا إلى ذلك بغير نظرية «الإرادة والمشيئة» فقالوا: إن القومية ليست باللغة، بل إنما هى بالإرادة والمشيئة؛ والأمة ليست مجموع الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة، بل هى مجموع الأفراد الذين يحملون «مشيئة المعيشة المشتركة».

لقد بذل أرنست رينان جهداً كبيراً لترويج ونشر هذه الفكرة، وللدفاع عنها. إنه عرضها بشكل شيق وأسلوب جذاب، واستطاع لذلك أن يجتذب عدداً غير قليل من المفكرين إلى صف هذه النظرية.

غير أن جميع الوقائع السياسية التى حدثت بعد ذلك ، جاءت مؤيدة للنظرية الألمانية ، ومفندة للنظرية الفرنسية . وأظهرت أن خطبة رينان المشهورة ، كانت بمثابة خطبة محام بارع يبحث عن مبررات للقضية التى أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عنها . . لا مقالة عالم مدقق ، يبحث عن الحقيقة لذاتها .

ذلك لأن سلسلة من طويلة من الوقائع التاريخيه — من اتحاد ألمانيا إلى تكوين يوغوسلافيا — سارت على أساس وحدة اللغة ، وبرهنت على أن حياة الأمم تقوم ، قبل كل شىء ، على اللغة .

وأما المشيئة ، « مشيئه العيشة المشتركة » . . فقد تبين أنها لم تكن من عوامل تكوين الأمة ، ومن دوافع قيام الفكرة القومية . . بل أنها كانت — بعكس ذلك — من نتائج حياة الأمة ومن محصولات الفكرة القومية .

لأن الأفراد الذين يتكلمون بلغة واحدة، ويعيشون و يعملون فى تيار تاريخى واحد ، يتفاهمون و يتعاطفون بعضهم مع بعض أكثر وأسهل مما يتفاهمون ويتعاطفون مع غيرهم . ولذلك ينزعون إلى «العيشة المشتركة» ، و «يريدون أن يعيشوا سوية» . وبهذه الصورة تتولد فى النفوس « مشيئة العيشة المشتركة » ، نتيجة طبيعية للاشتراك فى اللغة وفى التاريخ .

لهذه الأسباب ، نستطيع أن نقول : أن اعتبار المشيئة العامل الأصلى فى تكوين الأمة يكون بمثابة عكس الحقائق رأساً على عقب . . . فأن المشيئة ليست سبباً فى تكوين الأمة ، ولكنها نتيجة لتكونها . .

وعلى كل حال ، أنا لا أتردد فى القول بأن النظرية الألمانية فى هذه

القضية ، هى النظرية الصحيحة التى أيدتها الوقائع التاريخية ، ودعمتها الأبحاث العلمية :

أن « الأمة » كائن حي ، توجد بطبيعة الحياة الاجتماعية ، ولا تخلق عشيئة الأفراد .

وأ كرر هنا ما قلته مراراً : إن الأمة كائن اجتماعى ، يتصف بالحياة وبالشعور . حياة الأمة بلغتها ، وشعورها بتاريخها . والأمة التى تنسى تاريخها ، ومع هذا تبقى محتفظة بلغتها ، تكون بمثابة عضوية اجتماعية فقدت الوعى والشعور ، ولكنها بقيت على قيد الحياة . والشعور قد يعود إليها ، عند ما تتذكر وتتعلم تاريخها . ولكن الأمة ، إذا ما فقدت لغتها ، وصارت تتكلم بلغة أمة أخرى ، تكون قد اندمجت فى تلك الأمه . . . وفقدت كيانها الخاص ، وزالت من عالم الوجود ...

الخلاصة

وخلاصة القول : أننا كلما تعمقنا فى درس قضايا القوميه العامه . . . وكلما توسعنـــا فى درس تاريخ العرب الخاص . . . . تأكدنا من الحقائق التاليه :

المصريون ، والسوريون ، واللبنانيون ، والفلسطينيون ، والعراقيون ، والنجديون ، والحجازيون ، واليمانيون ، والليبيون ، والتونسيون ، والمغاربه . . . كلهم ينتسبون إلى أمه واحدة ، هى الأمه العربية . . .

هناك شعوب عربية عديدة ؛ ولكن هذه الشعوب كلها تنتسب إلى أمه واحدة ، هى : الأمة العربية .

هناك دول عربيه عديدة ؛ ولكن هذه الدول كلها تسوس فروع أمه واحدة ، هى : الأمة العربية .

لكل واحد منا . . . لكل واحد من منتسبى هذه الشعوب . . . لكل واحد من مواطنى هذه الدول . . . أن يقول : أنا مصرى ، أو أنا عراقى أو أنا سورى ، أو أنا لبنانى . . ولكن عليه أن يقول ، فى الوقت نفسه : أنا عربى . . .

كما يجب عليه أن يقول : العروبة فوق ، الجميع . . .

مناقشات وتوضيحات

حول

محاضرة القومية العربية

أسباب انفصال الولايات المتحدة الأميركية عن انكلتره

حجة اختلاف المصالح الإقتصادية بين البلاد العربية .

ما الفائدة من أن أكون عربيا ؟

مواقف المصريين من قضية العروبة .

بين النزعة الفرعونية وبين القومية العربية

مناقشة بعض الآراء

بعد المحاضرة المسطورة فى هذا الكتاب ، خصصت جمعية الوحدة العربية ، يوماً لمناقشة الآراء المسرودة فيها . وفى ذلك اليوم ، بعد استعراض ملخص المحاضرة ، دُعى الحاضرون إلى إبداء ما لديهم من ملاحظات أو استيضاحات ، أو اعتراضات .

فانتقد بعضهم «اعتبار اللغة أساساً للقومية» ، بحجة أن الولايات المتحدة لأميركية انفصلت عن بريطانيا العظمى ، على الرغم من وحدة اللغة التى كانت تربطهما .

وأشار بعضهم الآخر إلى عظم الفروق القائمة بين مختلف الأقطار ، زاعماً بأن هذه الفروق تحول دون اتحاد الأقطار المذكوره ؛ وقد أكد بعض هؤلاء على فروق الأحوال الطبيعية والمناخ؛ واهتم بعضهم باختلاف الأحوال الاجتماعية والثقافية ؛ وتكلم بعضهم عن تباين المصالح الإقتصادية .

هذا ، وقد تساءل بعضهم : ما الفائدة من الانتساب إلى العروبة ؟ وأثار بعضهم قضية الفرعونية ؛ فالتزمها بعضهم ،وعارضها بعضهم الآخر .

ولما كانت هذه القضايا تثار فى بعض المحافل والمجالس من حين إلى حين ، رأيت أن أدوّن رأيى فيها بشىء من التفصيل :

انفصال الولايات المتحدة الأميريكية

« انفصلت الولايات المتحدة الأميريكية عن بريطانيا العظمى ، على الرغم من وحدة اللغة التى كانت تربطهما » .

هذه الواقعة التاريخية ، يحاول الكثيرون من معارضى فكرة الوحدة العربية أن يتخذوها برهاناً قاطعاً على أن وحدة اللغة لا تؤثر فى تقرير مصير الأمم.

ولكى نقدر قيمة هذه البرهنة ، يجب علينا أن ندرس الظروف التى تم فيها انفصال الولايات المتحدة الأميريكيه عن بريطانيا العظمى .

هناك ثلاث قضايا أساسية ، يجب أن تبقى نصب أعيننا عند بحث هذه القضية :

أولا — إن انفصال الولايات المتحدة الأميريكية عن بريطانيا العظمى كان تم سنة ١٧٧٦ .

ثانياً — إن أميريكا ، مفصولة عن الجزر البريطانية بالبحر المحيط الأطلسى العظيم .

ثالثاً — إن اللغة الانكليزية لم تصبح اللغة البيئية عند جماعات كبيرة جداً من الأمريكيين ، إلا فى وقت حديث نسبياً .

إن أهمية هذه القضايا فى تكوين الولايات المتحدة الأميريكية ، لا تحتاج إلى شرح طويل .

قلت ، أولا : إن الإنفصال كان تم سنة ١٧٧٦ . ويجب أن نتذكر أنه فى ذلك العهد ما كان يوجد على وجه الأرض دولة قومية أبداً .

كانت الدول عندئذ فى حالة ممالك بكل معنى الـكلمة .ومن المعلوم أن فكرة القوميات ، لم تصبح من القوى المؤثرة فى السياسة الدولية ، الا بعد مرور مدة طويلة ، تزيد على نصف قرن .

فى ذلك التاريخ ، ما كان الإنكليز ينظرون إلى سكنة الولايات المتحدة كمواطنين يتمتعون بحقوق متساوية مع سكنة الجزر البريطانية . بل كانوا ينظرون إليهم نظرهم لأهل المستعمرات ، وكانوا يفرضون عليهم سياسة اقتصادية وجمركية ، لا تهتم بشىء غير مصالح ممولى بريطانيا العظمى ؛ مثلا كانوا صدروا قانوناً يحظر على أهالى تلك المستعمرات ، المتاجرة مع غير الجزر البريطانية . ولذلك نستطيع أن نقول : إن ثورة الأميركان على التاج البريطانى كانت بمثابة ثورة على الإستبداد ، بغيـة تأسيس حكم حر وعادل .

إنهم « كانوا تركوا بلادهم فراراً من أنواع الظلم وتخلصاً من الأسلوب الأوروبى الإقتصادى الذى كان يعرقل مساعيهم ووسائل تحسين معيشتهم » وعندما وجدوا أن الظلم والاعتساف لحقهم هنـاك أيضاً ، ثاروا وأعلنوا الاستقلال . وقد قالوا فى ديباجة منشور الاستقلال : « تاريخ ملك بريطانيا العظمى الحالى حافل بالأضرار والإغتصاب . و بغيته من كل ذلك تحقيق مأرب مباشر ، هو فرض حكم استبدادى مطلق على هذه الولايات » (من النشرة التى أصدرتها وزارة الخارجية الأميريكية باللغة العربية) .

ولذلك نستطيع أن نقول : إن ما حدث فى أوائل الربع الأخير من القرن الثامن عشر — قبـل قيام مبدأ القوميات ، وقبل بدء تكوين

الدول القومية — لا يمكن أن يتخذ برهاناً على أية نظرية من النظريات التى تحوم حول القوميات .

* * *

ولكن .. قد يقال ، إذا كانت الولايات المتحدة الأميركية انفصلت عن بريطانيا ، قبل قيام مبدأ القوميات ، فلماذا لم تعد تتحد بعد ذلك مرة أخرى ، بعد ما انتشرت فكرة القوميات، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، مثلا ؟

إن أسباب ذلك تظهر لنا بكل وضوح ، عند التأمل فى القضيتين الأخريتين :

لا ننسى أن أميركا ، تنفصل عن الجزر البريطانية ببحر محيط عظيم ، هو المحيط الإطلنطى الفسيح ؛ وهذا الإنفصال كان ذا خطورة خاصة قبل قرن ، ولا سيما قبل قرن ونصف قرن ، لأن المواصلات كانت تجرى عندئذ بالسفن الشراعية ، وأسفار هذه السفن كانت تستغرق وقتاً طويلا ، فضلا عن أنها كانت تتعرض إلى أخطار جسيمة ، بسبب كثرة الزوابع والعواصف التى تحدث خلال مدة السفر الطويلة ، فى ذلك البحر المحيط المكشوف . وكان من الطبيعى أن يلعب هذا الإنفصال الجغرافى ، دوراً كبيراً فى تقرير مصير المستعمرات الاميركية .

غير أن القضية الثالثة ، هى أهم من كل ما ذكرته آنفاً : أن الولايات المتحدة الأمريكية ، لم تكن قبلا انكليزية اللغة تماماً ؛ لأن جميع سكانها — تقريباً — كانوا من المهاجرين . وهؤلاء المهاجرون كانوا يؤومونها من مختلف الأقطار الأوربية ؛ وكان بينهم — فضلا عن الانكليز —

مئات الآلاف من الألمان ، والايرلانديين ، والطليان والسويديين والفرنسيين . . . وكان هؤلاء يحملون معهم إلى القارة الأمريكية لغاتهم الأصلية ، وما كانوا ينسون تلك اللغات — ويصبحون انكليزيى اللغة فى بيوتهم — إلا بعد مرور جيلين أو ثلاثة على هجرتهم من بلادهم ؛ وبما أن سيل المهاجرة استمر مدة طويلة ، نستطيع أن نقول : أن أميركا بقيت مـــدة غير قصيرة كثيرة اللغات ، ولم تصبح انكليزية اللغة تماماً ، إلا بعد اتمام نمو الولايات المتحدة ، وانقطاع سيول المهاجرة الجارفة عنها . .

كانت أميريكا ، بمثابة بوتقة تذوب وتختلط فيها الجنسيات المختلفة ، وتطرح منها مختلف اللغات الأوروبية ، إلى أن يصفو الميدان إلى اللغة الانـكليزية .

ولذلك كله ، كان من الطبيعى أن لا تعمل اللغـة الانـكليزية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، عملا يشبه عمل اللغة الألمانية أو الايطالية فى القارة الأوربية .

* * *

هذا ، وإذا قارنا بين أحوال أميريكا وانـكلتره التى وصفتها آنفاً ، وبين أحوال البلاد العربية التى نعرفها جميعاً . : وجدنا أن البون بينهما كان شاسعا جداً :

أولا : إننا نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ، لا فى القرن الثامن عشر ؛ نحن نعيش فى القرن الذى صيغت فيه خارطة أوروبا صياغة جديدة تماماً ، وفقاً لما يقتضيه مبدأ القوميات .

ثانيا : ان البلاد العربية متصلة بعضها ببعض اتصالا جغرافياً تاما ، لا يفصل بين أقسامها المختلفة فاصل يستحق الذكر . هذا ، فضلا عن اننا نعيش فى عصر ، فقدت فيه الفواصل كثيرا من تأثيراتها . . بسبب تطور وسائط المناقلة ، وتقدم وسائل المخابرة .

ثالثاً : ان اللغة العربية ليست دخيلة على البلاد العربية ، وعلى الأجيال الحاضرة ، كما كانت الانكليزية بين المهاجرين إلى أميريكا . بل هى اللغة البيتية فى جميع الأقطار العربية ، منذ أجيال طويلة .

لهذه الأسباب كلها ، أقول بلا تردد : ان من يتخذ قضية انفصال الولايات المتحدة الاميريكية عن انكلترة ، برهاناً على وجوب بقاء الدول العربية والشعوب العربية ، منفصلين ومختلفين . . يكون قد تباعد عن جادة المنطق والصواب بعداً كبيراً جداً .

اختلاف المصالح الاقتصادية

من أهم الحجج التى يتذرع بها معارضو الوحدة العربية، هو اختلاف المصالح الاقتصادية بين مختلف الدول العربية. انهم يعلقون على هـذا الاختلاف أهمية كبيرة جداً، لأنهم يتمسكون فى هـذا المضمار بالنظرية القائلة أن المصالح الاقتصادية هى التى تسيتر العالم وتوجه التاريخ.

ولـكنى، أرى أن ألفت الأنظـار — قبل كل شيء — إلى قضية أساسية تتصل بهذا الموضوع: وهى، ان المصالح الاقتصادية ليست ظاهرة ولا ثابتة، كما يبدو فى الوهلة الاولى.

لأن هناك مصالح عاجلة ومصالح آجلة، كثيراً ما تتضارب تضارباً صريحاً؛ وهذا التضارب يستوجب تضحية احداها فى سبيل الاخرى، أو تضحية شيء من كليهما..

وهناك مصالح محلية ومصالح دولية، كثيراً ما تـكون متخالفة؛ وهذا التخالف يتطلب بذل الجهود للتأليف بينهما، وايجاد شيء من التوازن بين مقتضيات كل واحدة منهما..

والدولة، عندما تتولى شؤون الأمة تنظم هـذه المصالح المتضاربة، وتنسقها وتوجهها، وتوجد التوازن اللازم بينها.

ونستطيع أن نقول: انه لا توجد امة، لا تتضارب فيها — مصالح مختلف الجماعات؛ ولا توجد دولة، لا تـكون مرسحاً لتضارب المصالح وتوازنها، فى مختلف الميادين.

ان قول المتنبى المشهور : « مصائب قوم عند قوم فوائد » يتضمن حكمة صائبة فى هذا المضمار أيضاً .

* * *

يقولون ان مصالح لبنان الاقتصادية تختلف عن مصالح سوريا ، لأن الأولى مستهلكة والثانية منتجة .

ولكنى أسأل : هل توجد دولة لا يكون فيها بعض المقاطعات المستهلكة وبعض المقاطعات المنتجة ؟ أفلا توجد فى كل دولة ، مدن تجارية ، ومدن صناعية ، ومناطق زراعية ، ومناطق اصطياف واستجمام ؟ هل تشبه مصالح صقلية فى ايطاليا مثلا ، مصالح منطقة البحيرات الشمالية فيها ؟ أفلا تختلف مصالح مارسيليا فى فرنسا عن مصالح ليل وليون اختلافا جوهريا ؟ وهل نستطيع أن نقول : ان مصالح ميناء هامبورغ فى آلمانيا ، لا تختلف عن مصالح جبال الغابات ؟

ثم ، إذا رجعنا إلى لبنان نفسها ، أفلا نجد فيها أيضاً اختلافا فى المصالح بين مختلف المدن والمقاطعات ؟ هل تشبه مصالح بيروت الاقتصادية مثلا مصالح بعلبك والبقاع ؟

وفضلا عن ذلك ، أسأل : ألا يمكن أن يكون التضارب الذى يلاحظ الآن بين مصالح سوريا وبين مصالح لبنان ، ناتجاً عن عدم تقدير المصالح الحقيقية حق قدرها ، وعن عدم حساب مصالح المستقبل حساباً دقيقاً ؟ ألا يمكن أن يكون هذا التضارب قائما بين مصالح جماعة من اللبنانيين ، وجماعة من السوريين ، . . لا بين مصالح لبنان الحقيقية بوجه عام ، ومصالح سوريا الأساسية على الاطلاق ؟

وفى الأخير ، ألا يمكن ايجاد نظام اقتصادى يضمن أعظم المنافع للطرفين ، مع تضحية بعض المنافع من الطرفين ، بطبيعة الحال ؟

وإذا رجعنا إلى تواريخ الدول المختلفة ، وجدنا فيها أمثلة كثيرة على التطورات التى حدثت فى مهم المصالح الحقيقية ، وعلى التنظيمات التى تمت للتأليف بين المصالح التى كانت تبدو متضاربة أشد التضارب .

بين يدى الآن كتاب عنوانه « حكومة بواسطة الشعب » ، نشرته وزارة الخارجية الأميريكية باللغة العربية . يسرد الكتاب تضارب المصالح والمطالب التى كانت تتجاذب مختلف الولايات الاميريكية عند بدء استقلالها واتحادها :

« كان صاحب كل سفينة فى بوسطن ، وهو منهمك فى التجارة الدولية ، مدافعاً عن التجارة الحرة .

والفخارى فى ولاية الينوى المتوسطة فى الغرب ، الذى كان مبتدئاً فى صناعته وملاقياً مزاحمة صناع الفخار الأجانب ، كان يناضل لأجل الضريبة الجمركية على الفخار الأجنبي ، لكى يحمى فخاره فى سوقه المحلية .

وزارع القمح فى ولاية نبراسكا . كان يحبذ خفض أسعار النقل و ينشط سعر القمح ، فى حين ان صانع النشاء كان يسعى لأن يشترى قمحه رخيصاً ؛ وأصحاب السكك الحديدية كانوا يبتغون أعلى أجر للنقل .

وفى السنين الأخيرة كانت الخلافات الاقليمية محتدمة أيضاً . فكان رأى صيارفة نيويورك يختلف عن رأى زراع القطن فى الجنوب ، ورأى راعى المواشى فى ولاية تكساس ، ورأى الخشاب فى ولاية أوريجون .

وبالعكس كان هؤلاء الثلاثة الآخرون يجدون وسيلة للتوفيق بين مصالحهم السياسية . »

يظهر من هذه العبارات بكل وضوح ،أن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها جابهت كثيراً من المشاكل من جراء تضارب المصالح ، ولكنها لم تعجز عن معالجتها معالجة تضمن التقدم والنهوض إلى الجميع . . . في آخر الأمر .

وقد تخسر بعض المدن و بعض المقاطعات — في بادىء الأمر — ، عند أمثال هذه التنظيمات ؛ ولكن النتائج العامة التي تتولد من هذه التنظيمات ، كثيراً ما تعوّض هذه الخسارة ، تعويضاً كبيراً .

مثلا ، لاشك في أن مدينة هامبورج المشهورة في ألمانيا ، خسرت في بادىء الأمر ، من الدخول في الاتحاد الجمركي الألماني ، ومن الاندماج في الأمبراطورية الألمانية ؛ ولكنها بعد مدة ، استفادت استفادة عظيمة من النهضة الإقتصادية الهائلة التي قامت في ألمانيا ، بعد اتحاد دولها وتنسيق اقتصادياتها تنسيقاً قومياً ؛ وعادت وتلافت أضرارها السابقة أضعافاً مضاعفة .

و إذا أردت أن أضرب مثلا من البلاد العربية نفسها ، أستطيع أن أذكر مدينة حلب : كانت هذه المدينة تتمتع بموقع ممتاز جداً في عهد السلطنة العثمانية . لأنها كانت مركز تلاقي وتقاطع الطرق والسكك الحديدية التي تربط سوريا والعراق بعضها ببعض من جهة ، و بغربي الأنضول وشرقها من جهة أخرى ؛ و بتعبير أقصر : إنها كانت مركز تلاقي الطرق التي تربط شمالي السلطنة بجنوبها .

حتى أنه عند ما أخذ بعض الساسة يفكرون في تغيير عاصمة السلطنة ، — بعد الحرب البالقانية — قال المشير فون درغولتس باشا المشهور : أن أصلح

مركز لعاصمة السلطنة ، هى مدينة حلب .

من الطبيعى أن انفصال البلاد العربية عن السلطنة العثمانية ، أدى إلى زوال هذه المزايا والامتيازات عن مدينة حلب : إنها أصبحت مدينة منعزلة ، قابعة فى منطقة قريبة من الحدود ، وخسرت معظم ما كان لها من مزايا وإمكانيات تجارية . ولكن . . بعد ذلك ، استطاعت حلب أن تتكيف بما تقتضيه هذه الظروف الجديدة ، وتحولت من مدينة تجارية إلى مدينة صناعية ، وأصبحت الآن أهم مراكز الصناعة فى سوريا ، كما أنها أخذت تتوسع وتنهض بأمور الزراعة أيضاً .

ويظهر مما سبق ، أن ما يقال عن تضارب المصالح بين مختلف البلاد العربية بوجه عام — وبين سوريا ولبنان ، بوجه خاص — . لم يكن من أنواع التضارب التى لا يمكن معالجتها .

ولذلك أستطيع أن أقول ، أن كل الحجج التى يبديها البعض لاستبعاد فكرة الوحدة العربية ، مستنداً إلى الفروق الاقتصادية ... إنما هى حجج واهية ، لا تستطيع أن تقاوم البحث الجدى ، والنقد العلمى . . بوجه من الوجوه .

منفعة العروبة

قال أحد الحاضرين — وكان من رجال القانون — : أنا مصرى ، بس . ثم أردف قوله هذا ، بالسؤال التالى :

— وما الفائدة من أن أكون عربياً ؟

وأجبته متسائلا :

— قبل الاجابة على سؤالك ، أود أن أسألك : وما الفائدة من أن تكون مصريا ؟

وأجاب على هذا السؤال ، قائلا :

— الفائدة فى ذلك ظاهرة : لأن هنالك دولة مصرية ، تحمينى ، وتضمن لى حياتى ومصالحى . . .

وسألته عندئذ : — وهل تدعى أنك صرت مصرياً لهذا السبب ؟ هل خيّرك أحد بين المصرية وغير المصرية ، فاخترت أنت المصرية ، بعد التفكير والملاحظه ؟ أم صرت مصريا ، لأنك ولدت فى مصر ، من أبوين مصريين ؟

لا شك فى أنك تعرف وتسلم بأنك صرت مصريا ، بحكم ولادتك ونشأتك ، قبل أن تفكر فى شىء من المنافع التى ذكرتها . . . حتى قبل أن تعي وتفقه معنى المنفعة على الإطلاق .

والعروبة كذلك : لايصبح الإنسان عربياً بناء على مصلحة يتوخاها ومنفعة يسعى وراءها . . . أنما يولد عربياً ، ويشعر بالعروبة حسب ظروف نشأته . أننا لا نختار اللغة التى سننشأ عليها . ولا نختار التاريخ الذى

سنرتبط به . أن لغتنا البيتية تتقرر بطبيعة البيئة التى ننشأ فيها ، و بتكوين الأسرة التى ننحدر منها . أن كل واحد منا يكون أولا يكون عربياً ، قبل أن يفكر ودون أن يفكر . . . كما يكون قاهرياً أو بغدادياً أو حلبيا مصريا أو عراقيا أو سوريا . . . قبل أن يفكر ، ومن غير أن يفكر فى المنفعة التى قد يجنيها من هذا الانتساب .

٭ ٭ ٭

ثم أود أن أعود قليلا إلى الجواب الذى سمعته رداً على سؤالى : «الفائدة من انتسابى إلى المصرية ظاهرة ؛ لأن هناك دوله مصرية تحمينى وتضمن لى حياتى ومصالحى . . .»

ولكن . . . لو فرضنا أنك واجهت ظروفا لم تضمن خلالها الدوله المصرية مصالحك . . . أو صادفت ظروفا أخرى وضعتك أمام دولة أجنبية تضمن لك مصالحك أكثر مما تضمنها الدوله المصرية ، أو تغرقك فى بحر من الفوائد التى لا تعد ولا تحصى . . . فهل تتنصل عندئذ من مصريتك ، وتنتسب إلى تلك الدوله ، للحصول على تلك الفوائد ؟

أظن أنك لن تتردد فى الاجابة على هذا السؤال ، بقولك : كلا ، لأن هذه قضية شعور وعاطفة ، لا قضية منفعة وحساب . . .

ولماذا لا تقول نفس الشىء فى العروبة أيضا : هذه قضية شعور وعاطفة ، لا قضية منفعة وحساب ؟ . . .

٭ ٭ ٭

أنى لم أقصد من قولى هذا أن لا فائدة من العروبة ، وأن هذه قضية شعور مجرد ، وعاطفه بحتة ، دون أية فائدة . . .

بل بعكس ذلك ، أنا أدعى بأن مصر تجنى من العروبة فوائد كثيرة، وأن هذه الفوائد قابلة للتوسع والازدياد قابلية هائلة . وذلك لأن الاتحاد قوة . ونحن نعيش فى عصر القوة ، وعصر الاتحادات والتكتلات التى تولد القوة . ومن البديهى ان جميع امكانيات الامة ، تزداد وتتوسع كلما زاد عدد أفرادها ، وكلما توثقت الروابط بينهم .

وإذا أردت أن أضرب لكم مثلا واضحا وضوح الشمس فى النهار ، قلت : لولم تكن مصر عربية ، لولم تكن لغة مصر هذه اللغة التى يتكلمها سكان هذا العالم العربى الفسيح ، لما انتشرت المطبوعات المصرية انتشارها المعلوم ، ولما راجت أفلامها السينمائية هذا الرواج العظيم . .

ولهذا السبب اكرر ما قلته آنفاً : عندما قلت هذه قضية شعور وعاطفة، لاقضية منفعة وحساب .. لم أقل ذلك ، لظنى بان لافائدة من العروبة . . بل قلت ذلك لاعتقادى باننا نغلط غلطاً فاحشاً ، ونخسر خسارة فادحه ، إذا توهمنا ان المنفعة أساس كل شىء .

بل يجب علينا أن نعلم العلم اليقين ، ان الوطنية لا تقوم على أساس المنفعة ، كما ان القومية لا تنشأ من المنفعة .

ان القومية — مثل الوطنية — عاطفة تصدر من أعماق النفس ، لا فكرة تتولد من ملاحظات العقل .

ان حب الانسان لوطنه ولامته يشبه ، إلى حد كبير ، حب الطفل لامه . ومن المعلوم ان الطفل يحب امه ، قبل أن يفكرو دون أن يفكر . والتفكير ، قد يوجد بعض المبررات لهذا الحب ، وقد ينوره بعض التنوير ، ولكنه لا يولده بوجه من الوجوه .

وكذلك الأمر فى الوطنية والقومية ، أنها نتيجة شعور وعاطفة ، قبل أن تكون وليدة تفكير وملاحظة .

وأنا أقول بلا تردد : أن الوطنية أو القومية التى تدخل من أبواب الملاحظات النفعية ، لا تكون وطنية حقيقية ، ولا تكون قومية صادقة .

للشاعر الفرنسى العظيم « فيكتور هوجو » قصيدة مشهورة ، عنوانها « بين وطنين » يقصد الشاعر من ذلك، بين الوطن الفرنسى و بين الوطن الألمانى .

يبدأ هوجو قصيدته بوصف لألمانيا وصفا رائعا ، كله مدح و إطراء . مدح و إطراء لجمال المناظر ، ولتقدم الحضارة . . و بعد أن يسترسل فى هذا المدح ، بسلسلة أبيات طويلة شائقة ، ينتقل إلى فرنسا ، فيقول :

« وأما فرنسا . . فوا أماه ! »

فلا يزيد على ذلك كلمة واحدة . .

إنها أمه . . وكفى . . إنها أمه ، فليست فى حاجة إلى شىء من المدح والإطراء ، ولا يمكن أن تكون موضوع مقارنة مع سائر النساء .

ولذلك يكتفى الشاعر بهذه الصيحة ، ولا يزيد عليها كلمة واحدة !

* * *

و بعد كل هذه الإيضاحات ، أعتقد أنه يحق لى أن أقول للمعارض المحترم : إنك عربى ، لأنك مصرى، ولأن مصر عربية منذ قرون وقرون.

أنت قد تكون بحيريا ، وقد تكون صعيديا ؛ وقد تكون

اسكندرانيا . ولكنك لا تقول أبداً : أنا صعيدى بس ؛ وأنا بحيرى بس . . بل إنك تقول : أنا مصرى صعيدى ؛ أو أنا مصرى اسكندرانى

وكذلك لا يجوز لك أن تقول أنا مصرى بس ؛ بل يجب عليك أن تقول : أنا عربى مصرى . . كما يقول بعض الحاضرين هنا « أنا عربى عراقى ، أو أنا عربى لبنانى أو أنا عربى يمانى . . . . »

مواقف المصريين من العروبة

يتوهم البعض من إخواننا المصريين، أن التسليم بعروبة مصر، يعنى الموافقة على إدماج الدولة المصرية فى دولة عربية شديدة التمركز؛ وحرمان مصر من كل ما لها من خصائص ومميزات.

فى حين أن هذا الوهم خاطىء تماما. لأن المواقف التى يستطيع أن يقفها المتنورون أمام فكرة العروبة قد تختلف اختلافاً كبيراً، من الانعزال الكامل إلى الاندماج والاتحاد التام.

أنى أستطيع أن ألخص هذه «المواقف الممكنة» بالسلسلة التالية:

يستطيع أن يقول المرء:

(ا) أنا مصرى. ولا أشعر فى قرارة نفسى بأى ارتباط كان نحو العروبة. وأعتبر الدول العربيه بأجمعها أجنبية على، مثل سائر الدول الغربيه والشرقيه.

(ب) أنا مصرى. وأعترف بأنى عربى. ومع هذا أرى من الأوفق أن تبقى الدوله المصرية منفصلة ومنعزلة عن سائر الدول العربيه، وأن لا تزج بنفسها فى المشاكل التى تخص الدول المذكورة وحدها

(ج) أنا مصرى عربى. وأود أن تبقى الدوله المصريه مستقلة عن سائر الدول العربيه. ومع هـذا أقول بضرورة ارتباطها مع الدول الشقيقة باتفاقات خاصة

(د) أنا مصرى عربى وأود أن تدخل الدولة المصريه فى «حلف»

يجمع كل الدول العربيه وينسق أعمالها ويقوى تعاضدها، وذلك دون أن تمس شيئا من شخصيتها وسيادتها

(هـ) أنا مصرى عربى ، وأود أن تؤلف الدولة المصرية مع سائر الدول العربية ، دولة اتحادية — فدرالية — تتولى الشؤون الخارجية والعسكرية ، وتترك كل دولة من هذه الدول مستقلة فى تنظيم وتسيير سائر شؤونها .

(و) أنا مصرى عربى . وأرى أن يتحد الشعب المصرى مع سائر الشعوب العربية ، لتكوين دولة موحدة ، على أساس اللامركزية الواسعة النطاق ، تتمتع فيها السلطات المحلية بحقوق وصلاحيات عملية .

(ز) أنا مصرى عربى . وأرى أن يتحد الشعب المصرى مع سائر الشعوب العربية لتكوين دولة موحدة ، تتمسك تمسكا شديداً بمركزية الإدارة، فتسعى إلى إزالة جميع الفوارق القائمة بين الشعوب العربية المختلفة.

ولا أرانى فى حاجة إلى القول ، أن البون بين الموقف الأول ، وبين الموقف الأخير ، شاسع جداً . ولذلك أقول : أن النفور من الموقف الأخير، لايبرر قط الوقوف عند الموقف الأول، وعدم التزحزح عنه بصورة من الصور.

أنا شخصياً لست من دعاة المركزية . وأفهم أن يرى أحد المصريين التوقف — نهائياً أو موقتاً — عند أحد المواقف المتوسطة ، ولكنى لا أفهم أبداً ، كيف يسوغ لنفسه أن يقف فى الموقف الأول ، وينكر العروبة ، فى الوقت الذى تكوّن مصر أعظم الكتل العربية وأقواها .

النزعة الفرعونية

يثير بعض الكتاب والمتكلمين ، من وقت إلى آخر ، النزعة الفرعونية؛ ويحاولون معارضة الوحدة العربية ، مستندين إلى نداء هذه النزعة ، فيقولون:

« الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ، . . لا تطلبوا من مصر أن تتخلى عن مصريتها ، وإلا كان معنى طلبكم : إهدمى يا مصر، أبا الهول والأهرام ، وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم . وانسى نفسك ، واتبعينا » .

انى كنت رددت على أمثال هذه الآراء ، قبل مدة تزيد على عشرة أعوام . وأرى أن أكرر الآن تلك الردود ، فى هذا المقام :

«أن التعارض والتصادم لا يحدثان إلا بين الأشياء التى تسير على مستوى واحد ، فى عالم واحد . والفكرة العربية التى تعمل فى القرن العشرين — للأجيال القادمة — لا يمكن أن تتعارض مع آثار بقيت ميراثاً من ماض سحيق ، يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين .

أن مصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة دون أن تخرب أبا الهول ، وتخلت عن لغتها القديمة دون أن تهدم الأهرام ؛ وجميع آثار الفراعنة التى زينت بها متاحف مصر ومتاحف العالم ، لم تولد نزوعاً للعودة إلى الديانة التى أوجدت تلك المآثر الخالدة ، ولا حركة ترمى إلى بعث اللغة التى رافقتها خلال قرون طويلة . فهل من موجب لطلب هدم الأهرام وتناسى الآثار لأجل تحقيق الوحدة العربية ؟

أن الأهرام — مع جميع الآثار الفرعونية — لم تمنع مصر من الاتحاد

مع سائر الأقطار العربية اتحاداً تاماً فى ساحة اللغة ، فهل يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار فى ساحة السياسة أيضاً ؟

أن التيارات القوية والعميقة التى جرفت حياة مصر فى اتجاهات جديدة، منذ عشرات القرون ، والتى أخرجتها من دياناتها القديمة وأنستها لغتها الأصلية — بالرغم من وجود الأهرام وقيام أبى الهول — لن تحتاج إلى هدم أو ستر شىء من آثارها القديمة ، لتجرفها نحو السياسة التى يؤمن بها دعاة الوحدة العربية . . سيما وأن هذه السياسة ليست إلا نتيجة طبيعية للغة مصر الحالية .

أن دعاة الوحدة العربيه لم يطلبوا من المصريين — لاضمناً ولاصراحه — أن يتنازلوا عن مصريتهم ؛ بل أنهم يطالبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم المصرى الخاص شعوراً عربيا عاما : وأن يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية .

أن دعاة الوحدة العربيه لم يقولوا ، ولن يقولوا لمصر «انسى نفسك»، بل أنهم يقولون وسيقولون لها « استزيدى من ثروة نفسك ، بالعمل على توحيد أبناء لغتك » . أنهم لم يقولوا ، ولن يقولوا لها : « اتبعينا » ؛ بل يقولون ، وسيقولون لها : « سيرى نحو الأمام . ونحن نتبعك فى هذا الطريق على الدوام » .

كلمة

حـــول

التماسك الاجتماعى

إن قوة المجتمعات البشرية وقدرتها لا تتعين بعدد الأفراد الذين يؤلفونها ، بل تتناسب مع شدة الروابط التى تربط بعضهم ببعض ؛ كما أن صلابة الأحجار والصخور لاتتبع حجمها ، بل تتناسب مع تماسك أجزائها.

فنرى بعض الأمم تشبه الأحجار الهشة ؛ حتى أنها لتشبه أحياناً أكوام التراب والرمال : لأن أجزائها قليلة التماسك والالتصاق ، ولو كانت كثيرة العدد . فى حين أن بعض الأمم تشبه الأحجار الصلبة والصخور الصلدة ، فان أجزاءها شديدة التماسك والالتصاق ، وإن كانت قليلة العدد . . .

فيجب علينا أن نسعى لجعل أمتنا المحبوبة متماسكة الأجزاء شديدة الالتصاق ، مثل الصخور . . . لاهشة رخوة الأجزاء قليلة الالتصاق ، مثل الرمال . . .

من محاضرة فى التربية الأجتماعية ١٩٢٨

مصر والعروبة

بين المؤمنين بعروبة مصر وبين دعاة الانعزال.

رد على المعارضين الذى يستشهدون بالتاريخ :

شهادة تاريخ الأتراك

شهادة تاريخ اليونان

دلالة تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

المصريون عرب : باللغة والثقافة والتاريخ .

مصر والعروبة

ما هو موقف مصر من القضايا المتعلقة بسائر البلاد العربية؟ ما هو مبلغ شعور المصريين بالقومية العربية ، وما درجة اهتمامهم بفكرة العروبة ؟ ما هو هذا الموقف وهذا الشعور فى الحالة الحاضرة ؟ وماذا يجب أن يكون ، وماذا سيكون فى المستقبل القريب والبعيد ؟

هذه الأسئلة وأمثالها شغلت — ولا تزال تشغل — أذهان الكثيرين من الباحثين والمفكرين ، — من مصريين وغير مصريين — ، منذ سنوات طويلة .

كان عدد غير قليل من شبان العرب — من أهالى الولايات العربية الباقية تحت الحكم العثمانى المباشر — فى العهد الحميدى ، يتوجهون نحو مصر ، بقلوب مفعمة بالآمال ، معتقدين بأنها ستعمل ما يجب عمله لاعادة مجد العرب واحياء القومية العربية .

وكان عدد كبير من رجال السياسة العثمانية فى ذلك العهد يتخوفون من مصر لهذا السبب ، وكانوا يحسبون ألف حساب لاحتمال تزعمها الحركة العربية . ولذلك كانوا يتخذون شتى التدابير للحيلولة دون اتصال أهالى الولايات العربية بسكان الخديوية المصرية . .

ولكن طائفة كبيرة من الظروف السياسية والعوامل التاريخية تضافرت على ابقاء مصر بعيدة عن الحركات العربية السياسية ، خلافا لما كان يتوقعه جميع هؤلاء .

فنشبت الثورة العربية من الحجاز، وانتقلت منها إلى سوريه فالعراق، من غير مساعدة مصر وتدخلها .

ان الظروف والعوامل التى أشرت اليها آنفا حملت مصر على الإعراض عن الفكرة العربية ، وعلى البقاء خارج نطاق الثورة المذكورة . .

* * *

غير أن هذه الحالة كانت نتيجه ظروف عارضة . فكان طبيعياً أن تتغير هذه الظروف بعد مدة ، كما كان طبيعيا أن تتبدل موقف مصر والمصريين من حركات القومية العربية تبدلا جوهرياً تبعا لتغير تلك الظروف .

انى كنت من المؤمنين بذلك ايمانا قويا . وقد أعلنت ايمانى هذا مرارا بمحاضرات ألقيتها ومقالات نشرتها فى العراق .

فقد قلت فى مستهل احدى المقالات التى نشرتها سنة ١٩٣٦ ما يلى :

« لقد زودت الطبيعة مصر ، بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى إنهاض القومية العربية .

« لأنها تقع فى مركز البلاد العربية ، بين القسمين الافريقى والأسيوى منها ، كما أنها تكون أكبر كتلة من الكتل التى انقسم اليها العالم العربى بحكم السياسة والظروف . وهذه الكتلة قد أخذت حظا أوفر من الحضارة العالمية الحديثة ، وقد أصبحت أهم مركز من مراكز الثقافة فى البلاد العربية . وهى أغنى هذه البلاد بأجمعها . كما أنها أقدمها فى تشكيلات الدولة العصرية، وأقواها فى الآداب وأرقاها فى الفصاحة .

« وكل ذلك . . . مما يجعل مصر الزعيمة الطبيعية للقومية العربية » .

وبعد أن سردت العوامل التى استوجبت بقاء مصر خارج نطاق الحركة العربية فى بادىء الأمر ، قلت :

«اننى لم أقنط من إنتشار فكرة القومية العربية فى مصر ، فى يوم من الأيام . غير أنه سرنى جدا أن أرى هذه السنة فى مصر تخمرا اجتماعيا عميقا ، يدفعها نحو الفكرة العربية بقوة شديدة ، ويحملها تشعر بواجبها الطبيعى ورسالتها القومية شعورا واضحاً . ولا أشك فى أن هذه ليست الا مقدمة مباركة ، سيعقبها شعور فياض نحو القومية العربية ، وعمل جبار فى سبيل انهاض هذه القومية . . . »

ان ما حدث بعد ذلك فى مصر جاء مصدقا لما كنت توقعته عند ذاك : إذ أخذ الشعور بالعروبة ، والاهتمام بالقومية العربية ، والعمل فى سبيل النهضة العربية . . يغمر نفوس المصريين شيئا فشيئا .

* * *

وقد اشتد هذا التيار الفكرى الجديد بوجه خاص ، خلال الحرب العالمية الثانية ، من جراء الوقائع التى لازمت حركات الاستقلال الأخيرة فى سورية ولبنان . وبلغ حده الأقصى بعد تأسيس جامعة الدول العربية ، وعند بدء الحركات السياسية والحربية لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونية .

ولكن الاخفاق الذى منيت به هذه الحركات أثر فى هذا التيار الفكرى تأثيرا سيئاً ، وعرض فكرة العروبة إلى نكسة أليمة جدا ؛ فأخذ بعض الكتاب والساسه يدعون إلى التخلى عن هذه الفكرة ، والانصراف إلى معالجة شؤون مصر الخاصة ، من غير اهتمام بسائر الشؤون العربية .

انى أقدر مرارة الآلام التى شعر بها المصريون -- بحق - من جراء سير الوقائع الحربيه فى فلسطين، ولاسيما بسبب الأوضاع المؤسفه التى لابست الصفحة الأخيرة منها.

ولكننى أعرف — فى الوقت نفسه -- أن جميع المؤمنين بالقومية العربية والداعين اليها، قد شاركوا المصريين فى هذه الآلام المريرة مشاركة تامه.

وأقول، — فضلا عن ذلك — أن المثل العليا القومية لا يمكن أن تتحقق فى حملة واحدة، بل أنها تتطلب جهودا جبارة مقرونة بتضحيات عظيمة تستمر وتتوالى جيلا بعد جيل.

فالعقبات التى تعترى الأمم فى مسيرها نحو تلك المثل العليا، والنكبات التى تعترض ذلك السير من وقت إلى آخر.. مهما تكن كثيرة وكبيرة، فانها لا تقوم دليلا على استحالة تحقيق تلك المثل العليا، ولا تسوّغ التخلى عنها، ولا سيما فى المرحلة الأولى من مراحل السير نحوها.

* * *

وأظن أن أسباب عدم تقدير هذه الحقيقة الواضحة تعود — فى الدرجة الأولى — إلى اختلاط مفهوم الفكرة العربية، بأعمال جامعة الدول العربية، فى أذهان الكثيرين من الخاصه والعامه.

انى كنت ألحظ آثار هذا الاختلاط المؤسف منذ مدة طويله، وكنت أحاول لفت الأنظار إلى هذه الحقيقه المهمه بمناسبات عديدة:

ولقد اعتاد الكتاب والخطباء — مثل معظم الناس — أن يختصروا تعبير « جامعة الدول العربية » ، فيقولوا « الجامعة العربية » من غير أن

يتنبهوا إلى الفروق العظيمة التى تفصل بين المعانى المفهومة من كل واحد من هذين التعبيرين .

وقد كنت — ولا أزال — أعترض على ذلك فى كل فرصة ، ورحت أدعو إلى التمييز بين هذين التعبيرين باهتمام تام .

ذلك لأن الجامعة التى تأسست سنه ١٩٤٥ بموجب الميثاق المعلوم ، إنما هى « جامعه الدول العربيه » كما هو مصرح فى ذلك الميثاق .

وأما « الجامعة العربية » فانها لاتزال تحبو فى عالم « الأفكار والآمال » أنها الآن « فكرة » تعيش فى أذهان الذين يؤمنون بوحدة الأمة العربية ايمانا صحيحا ؛ بل هى « مثل أعلى » تصبو اليه نفوس جميع الذين يدركون معنى العروبة حق الادراك .

فيسوغ لكل باحث أن يقول عن جامعة الدول العربية الراهنة مايشاء، وأن ينتقد أعمالها وتصرفاتها ماوسعه الانتقاد . غير أنه لايسوغ لأحد أن يتهم — من جراء ذلك — فكرة الجامعة العربية ، التى لم تخرج بعد إلى عالم الوجود .

ولا مجال للشك فى أن كل من يتهجم على فكرة الجامعة العربية من جراء أعمال جامعة لدول العربية ، يكون قد ارتكب ظلما فادحا .

* * *

وبالرغم من بداهة هذه القضية نرى من الأسف الشديد أن الخلط بين تعبير جامعة الدول العربية وتعبير الجامعة العربية . . قد استمر وتفاقم ولهذا السبب زاد عدد الذين يطعنون فى فكرة العروبة نفسها من جراء تصرفات جامعة الدول العربية فى بعض الشئون السياسية .

ولا نغالى إذا قلنا أن آراء هؤلاء ودعاياتهم ، أصبحت من التيارات التى تبدو صراحة فى بعض البيئات المصرية .

ومما زاد قوة هذه التيارات ، أن البعض من مشاهير الكتاب والمفكرين أخذوا يضمون أصواتهم إلى الدعايات القائمة للتخلى عن الفكرة العربية العامة ، وللانصراف عنها إلى معالجة شؤون مصر الخاصة .

وقد أراد بعض هؤلاء الكتاب والمفكرين — فى الأيام الأخيرة — أن يدعموا آراءهم السياسية بدلائل وشواهد تاريخية ، فراحوا يستشهدون بتواريخ الأمم المختلفة .

وقد حاول سعادة محمود حفنى باشا — مثلا — أن يدعم الآراء التى نشرها فى مجلة المصور بتاريخ الأتراك الحديث ، وأشار إلى مافعله مصطفى كمال ؛ كما حاول سعادة لطفى السيد باشا أن يؤيد الرأى الذى أدلى به إلى المجلة المذكورة بتاريخ اليونان ، وأشار إلى مافعلته الأمة اليونانية خلال خضوعها لسيطرة الدولة العثمانية .

أن أمثال هذه الاشارات المقتضبة إلى بعض الوقائع التاريخية قدتضلل بعض الأذهان ، فتخرجها عن سبل الحق والصواب .

ولذلك رأيت أن أقوم بتمحيص هذه الشواهد التاريخية لتبيان مبلغ انطباقها على الحقائق الثابتة من جهة ، ومدى تأييدها للخطط المقترحة من جهة أخرى

* * *

هذا وأرى أن أصرح — قبل الشروع فى هذه المناقشة — بأننى لست متخوفا أو متشائما من شيوع وذيوع الآراء التى وأشرت اليها آنفا . لأنى

أعتقد بأنها من نوع « غيوم اليأس » التى تستولى على النفوس — عادة — عندما تمنى بالاخفاق فى تحقيق مشروع من المشاريع المحببة إليها ، فى مرحلة من مراحل العمل من أجلها ؛ ولكنها لاتلبث أن تنقشع وتزول ، عند التفكير فى الأمور بشىء من الهدوء ، وعند العودة إلى العمل مع شىء من الحزم والأمل ....

وإذا ماأقدمت على مناقشة هذه الآراء ، إنما أقدم عليها بغية الحيلولة دون تكاثف هذه الغيوم فى أجواء النفوس الضعيفة، و بغية ضمان انقشاعها عن تلك الأجواء بسهولة وسرعة .

الاستشهاد بتاريخ اليونان

رد على لطفى السيد باشا

لقد أدلى سعادة الأستاذ لطفى السيد باشا بحديث سياسى إلى مجلة المصور . تطرق خلاله إلى قضية علاقة مصر بالعالم العربى وبالشؤون العربية

وقد جاء فى الحديث المذكور ، ما نصه :

« ... وقد كنت ألح فى تأييد مصرية المصريين . لأن منهم من كانوا يدعون أنهم عرب ، ومنهم من يدعون أنهم أتراك أو شراكسة . ولو كان اليونان حينما ملكهم الأتراك قد خرجوا من قوميتهم لبادت شخصياتهم ولماتت فى نفوسهم أطماع الاستقلال ببلادهم ، ولاستحال عليهم أن يردوها اليهم .

« وكذلك نحن المصريين ، يجب أن نتمسك بمصريتنا ، ولا ننتسب إلى وطن غير مصر ، مهما كانت أصولنا حجازية أو سورية أو شركسية أو غيرها . ويجب أن نحافظ على قوميتنا ونكرم أنفسنا ووطننا ، ولا ننتسب إلى وطن آخر . ونخصه وحده بكل خيرنا وكل منافعنا ؛ ونحيطه بكل غيرتنا ... (المصور ٥ مايو ١٩٥٠)

بهذه الكلمات يدعو سعادة الأستاذ الكبير إلى التمسك بالمصرية البحتة ، ويساوى فى نقده — من الوجهة المصرية — بين دعاة العروبة وبين مروجى التركية ، ويستشهد على رأيه هذا بما فعله اليونان .

أنى أسلم مع الأستاذ بأن اليونان لم يخرجوا من قوميتهم حينما ملكهم الأتراك ؛ ولكنى أرى من الضرورى أن أسأل بعد ذلك :

ماذا يجب أن نفهم من عبارة عدم الخروج من القومية اليونانية ؟ ماهى العلائم التى تدل على عدم الخروج من هذه القومية ؟ كيف استطاع اليونان ألا يخرجوا من قوميتهم، على الرغم من دخولهم تحت حكم الأتراك؟ وكيف حافظوا على قوميتهم اليونانية ، على الرغم من بقائهم تحت سيطرة الدولة العثمانية قرونا عديدة ؟

أنى أعتقد أن جواب هذه الأسئلة واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار : ذلك لأنهم حافظوا على لغتهم القومية ، وظلوا على مذهبهم المسيحى الأرثوذكسى . .

إنهم لم يندمجوا فى الشعب التركى ولم يذوبوا فى البوتقة العثمانية ، بسبب اختلافهم عن الأتراك باللغة وفى المذهب ، وتمسكهم بهما تمسكا شديداً . إنهم استقلوا عن الدولة العثمانية فى آخر الأمر بفضل استجابتهم لنداء هذه اللغة وذاك المذهب .

ومعلوم أن اللغة اليونانية كانت لغة خاصة بهم دون غيرهم ؛ ولكن المذهب الأرثوذكسى لم يكن خاصا بهم ، بل انه كان مشتركا بينهم و بين معظم الشعوب السلافية فى أوروبا ، وعلى رأسهم كتلة روسيا الجبارة . وقد تعرضت اليونان — بعد انفصالها عن الدولة العثمانية — إلى خطر الاندماج فى هذه الكتلة الجبارة ، تحت تاثيرهذه الرابطة المذهبية، وجابهت مشا كل عديدة بسبب علاقاتها المذهبية . ولم تتغلب على هذه المشا كل إلا بتغليب المصالح القومية والوطنية على الاعتبارات الدينية والمذهبية . و بتعبير آخر : إلا بالاستجابة إلى نداء اللغة والوطن ؛ أكثر من الاصغاء إلى نداء الدين والمذهب .

ويظهر من ذلك بوضوح وجلاء أن اليونان مدينون بكيانهم السياسى الراهن — قبل كل شىء وأكثر من كل شىء — إلى تمسكهم بلغتهم القومية ، وإلى تفضيلهم الاصغاء إلى نداء هذه اللغة على أى نداء آخر .

ألا يوجد فى هذه الحقيقة وحدها الدليل القاطع على أن سعادة لطفى السيد باشا قد حاد عن جادة الصواب ، عند مااستصغر وتجاهل شان اللغة ، فساوى بين العروبة وبين التركية خلال دعوته إلى المصرية ؟

***

على أن هناك ماهو أهم من ذلك ، وأدل على حقائق الأمور :

إن بلاد اليونان لم تستقل كلها دفعة واحدة . بل إنها استقلت على مراحل عديدة ، ومقاطعة بعد أخرى .

إن البلاد التى دخلت فى حدود دولة يونان المستقله فى بادىء الأمر — بموجب البروتوكول المنعقد فى لندن سنة ١٨٣٠ — كانت أقل من خمس بلاد اليونان الحالية ؛ إذ ظلت مقاطعة « تساليا » ولاية عثمانية ، بعد تأسيس الدولة اليونانية مدة تقرب من نصف قرن ؛ وانها لم تدخل فى حدود الدولة المذكورة — ولم تصبح جزءاً من الوطن اليونانى العتيد — ألا سنة ١٨٧٨ . واما سائر المقاطعات — مثل أبيروس ، وما كدونيا وترا كيا ... فإنها ظلت تحت الحكم العثمانى المباشر ، حتى سنة ١٩١٣ . واما الجزر الاثنتا عشرة المشهورة — التى عرفت منذ الحرب الطرابلسية باسم الدوديكانيز — فلم تصبح جزءا من الدولة اليونانية ألا أخيراً ، اى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

فيجدر بنا أن نتساءل هنا — بعد أن نتذكر هذه الحقائق الثابتة — كيف كان موقف الدولة اليونانية ومواقف زعماء اليونان ومفكريهم نحو هذه الأقطار التى ظلت خارجة عن حدود اليونان الرسمية خلال تلك السنين الطويـــلة ؟

هل حصر هؤلاء المفكرون والزعماء مفهوم « الوطن اليونانى » داخل الحدود التى خطتها السياسة الدولية ؟ هل تركوا البلاد التى بقيت خارج تلك الحدود السياسيه بعيدة عن نطاق اهتمامهم ؟ هل قالوا — فى الفترة التى مضت حتى سنة ١٨٧٨ . مالنا ولتساليا؟ وهل قالوا ، خلال الفترة التى امتدت حتى سنة ١٩١٣ ، مالنا ولهذه الأقطار المختلفة ، من أبير إلى تراكيا — ومن كريت إلى ماكدونيا ؟

هل قالوا يوما ما : فلنحصر جهودنا داخل هذا الوطن الذى يرفرف عليه علمنا الرسمى ، فلا نفكر بوطن غير هذا الوطن الراهن ؟ وهل تنكروا فى يوم من الأيام لهذه الأقطار المختلفة ، فاخرجوها من نطاق جهودهم ، ومن حدود أهدافهم السياسية ؟

إن صحائف التاريخ تصيح بأعلى أصواتها : كلا ، ثم كلا !

إنهم لم يكتفوا مطلقا بالوطن السياسي الراهن . بل ظلوا يحلمون بالوطن الأكبر ، بالوطن المثالى الذى يشمل ويجمع ويوحد جميع المتكلمين باليونانية . انهم حملوا الفكرة التى عرفت باسم « الفكرة الكبرى » مغالى ئيديا mégali idéa وواصلوا العمل والكفاح من أجلها ، وضحوا بالأموال والأنفس فى سبيلها .

وحين كانت الدولة اليونانية تضطر إلى العمل داخل حدودها الرسمية

مراعاة لضرورات السياسة الدولية — كانت الجمعية القومية المعروفة باسم «أتنيكى أتريا» تعمل خارج هذه الحدود، — تارة بالوسائل السرية وطورا بالطرائق العلنية، تارة بالاتفاق مع الحكومة القائمة، وطورا بغير علم منها — ومن المعلوم أن هذه الجهود المتنوعة والمتواصلة تكللت فى آخر الأمر بالنجاح التام، وجعلت ذلك الوطن الخيالى المثالى حقيقة واقعة.

ألا يظهر من ذلك كله فى وضوح وجلاء: أن تاريخ اليونان الحديث لا يؤيد قط الرأى الذى أبداه سعادة لطفى السيد باشا، بل أنه — على العكس من ذلك — يشهد شهادة صريحة ضد ذلك الرأى ويفنده تفنيداً قاطعاً؟

° ° °

وهناك صفحة خاصة من تاريخ اليونان الحديث يجب أن لا تغرب عن البال عند التفكير فى قضايا القومية والوطنية:

فقد كانت بعض أجزاء اليونان الحالية تتمتع بحكم ذاتى قريب من الاستقلال الفعلى، قبل انضمامها إلى الدولة اليونانية بصورة رسمية. فان جزيرة ساموس الصغيرة مثلا كانت «أمارة ممتازة»، كما أن جزيرة «كريت» الكبيرة صارت أيالة ممتازة. وقد اتسعت امتيازات هذه الجزيرة بالتدريج اتساعا كبيراً بسبب الثورات التى توالت فيها، إلى أن وصلت إلى حد «الاستقلال الفعلى» تحت سيادة السلطان الأسمية «وبكفالة الدول العظمى الأوروبية»

ولكن أهل الجزيرة أعلنوا انضمامهم إلى اليونان، على الرغم من

احتجاجات الدولة العثمانية وتحذيرات الدول الاوروبية ، وعلى الرغم من الحصار البحرى المضروب حول الجزيرة .

وفى أثناء تلك الثورات المتتالية التى قامت فى هذه الجزيرة الكبيرة — منذ عهد محمد على باشا — ، لم يقل ساسة اليونان «مالنا ولهذه الجزيرة البعيدة ، فمن الخير لنا بأن ننصرف إلى أمورنا الداخلية . . . »

لم يقل أحد من مفكرى اليونان وساستهم هذا القول . بل أنهم نادوا على الدوام بوجوب العمل فى سبيل إدخال الجزيرة المذكورة فى حوزة الوطن اليونانى . حتى أنهم فتحوا أبواب برلمانهم لممثلى الجزيرة ، حين كانت الدول الاوروبية تعتبرها مستقلة تحت سيادة تركية الاسمية ، وتحظر عليها الانضمام أو الاتحاد .

وفضلا عن ذلك أنهم سمحوا لأحد هؤلاء الممثلين أن يرتقى على سلم الزعامة اليونانيه بخطوات سريعه ، وقلدوه رئاسه وزارة الدولة .

فإن « فنزيلوس » المشهور كان من أهل كريت ، وكان عضواً فى مجلس إدارتها يوم كانت الجزيرة لاتزال ولاية عثمانية . ثم أصبح زعيما الوطنيين هناك ، وفى الأخير صار زعيما للدولة اليونانية .

ومن المعلوم أنه قام بأدوار خطيرة جداً فى سياسة اليونان بوجه خاص ، وفى سياسة البلقان بوجه عام . إذ كان من أنشط وأبرع العاملين فى اتفاق الدول البلقانية لمحاربة الدولة العثمانية . ومما لايجهله أحد ، أن الحرب المذكورة انتهت بانتصار الدول المذكورة انتصاراً حاسماً ، وأدت إلى إدخال جزيرة كريت مع مقاطعات أبير وماكدونيا وتراكيا الغربيه فى حوزة الدوله اليونانيه ، بصورة نهائيه .

أفلا يحق لى أن أسأل الآن ، بعد أن سردت هذه الوقائع التاريخيه: كيف كان يتطور تاريخ اليونان ، لو قال زعماؤها قبل قرن ونصف قرن . . مايقوله سعادة لطفى السيد باشا فى هذه الأيام ؟ .

فليسمح لى سعادته أن أقول : على الذين يستشهدون بالتاريخ ، أن يصغوا إلى صوته أصغاء تاما ، وأن يتركوه يدلى بشهادته ، من دون أن يعزو إليه مايخالف دلالته الحقيقيه مخالفه صريحه .

الاستشهاد بتاريخ الأتراك

رد على حفنى محمود باشا

لقد نشر سعادة حفنى محمود باشا فى مجلة المصور مقالة تحت عنوان « هذه الجامعة .. فضوها .. » اقترح فيها على الدول العربية أن تنصرف إلى شئونها الخاصة ، وأن تقتدى فى هذا المضمار بما فعله مصطفى كمال ؛ فقال :

« أنظر ماذا صنع مصطفى كمال ؟ وماذا صنع ؟ وقد عرف أن تركيا لم يهدأ لها بال منذ كانت أمبراطوريتها تتألف من تلك الدول وان الاستعمار الانجليزى استطاع أن يضرب بعضها ببعض ، فوقعت الخيانات ، وسالت الدماء ، وقامت البغضاء . . . لم يسع ذلك السياسى البعيد النظر ، إلا أن يقطع كل صلة سياسية لتركيا بهذه الدول ، فيقطع على الاستعمار طريق الفتن والدسائس » (المصور ٣١ مارس ١٩٥٠) .

أنا لن أسأل المعنى الذى يقصده سعادته من تعبير « الشئون الخاصة » ، ولا الطريقة التى يقترحها لتعيين تلك الشئون وتحديدها ، بل سأكتفى بمناقشته فى الوقائع التاريخية التى يستشهد بها .

فانى أسأل أولا : هل كانت هذه الدول العربية موجودة فى عهد الأمبراطورية العثمانية ؟

ان جواب هذا السؤال ، لايحتمل الشك والخلاف بوجه من الوجوه : ان جميع الدول العربية المقصودة فى المقالة — باستثناء مصر — ، قد تكونت بعد الحرب العالمية الأولى ، بعد اندراس السلطنة العثمانية ، و بعد

قيام مصطفى كمال لتأسيس الدولة التركية الحديثة على أنقاض تلك السلطنة القديمة .

وأما قبل ذلك ، فكانت أراضى الدول العربية الحالية منقسمة الى عدد غير قليل من الولايات والمتصرفيات (و بتعبير آخر : من المديريات والمراكز) وكانت كلها تدار كما تدار سائر الولايات والمتصرفيات التركية: تجرى فيها جميع المعاملات الرسمية باللغة التركية ، وحتى التعليم فى مدارسها الرسمية يتم باللغة التركية .

فالعلاقة القائمة بين الولايات المذكورة و بين الأمبراطورية العثمانية عندئذ، كانت علاقة تابعية ومتبوعية ، لا علاقة اتفاق أو تحالف أو اتحاد .

انها كانت علاقة قائمة بين أمتين مختلفتين فى اللغة والثقافة ، استطاعت احداهما أن تفرض لغتها على الثانية فرضا فى جميع المعاملات والمؤسسات الرسمية ؛ ولم تكن قط علاقة شعوب تنتسب إلى أمة واحدة ، وتتكلم لغة واحدة ... كما هى الحال فى الدول العربية القائمة فى الحالة الحاضرة .

وانى أعتقد أن هذا الفارق الهام وحده يكفى للبرهنة برهنة قاطعة ، على عدم جواز الاستشهاد بالسياسة التى كان اتبعها مصطفى كمال حيال البلاد العربية ، عند البحث فى السياسة التى يجب أن تتبعها الدول العربية بعضها نحو بعض .

٭ ٭ ٭

ومع ذلك ، انى سأغض النظر عن هذا الفارق الهام ، — فسأقبل جدلا هذا الاستشهاد . — ولكنى سأسأل : هل ان أعمال مصطفى كمال — فى حد ذاتها — تشهد حقيقة على ما يقوله حفنى محمود باشا ؟

أنا لا أنكر أن مصطفى كمال « قطع على الاستعمار طريق الفتن والدسائس » : ولكنى لا أقر بأنه توصل إلى ذلك عن طريق السياسة السلبية التى أشار إليها سعادة المحرر ؛ بل ادعى بأنه توصل إلى ذلك عن طريق الأعمال الايجابية التى قام بها ، لمعالجة القضايا والمشاكل معالجة حاسمة .

فانه ، أولا : أوجد جيشاً قوياً ، استطاع بواسطته أن يحارب المستعمرين ويتغلب عليهم وأن يطردهم من البلاد التركية التى كانوا قد احتلوها قبلا .

ثانياً : انه نقل العاصمة من استانبول الى آنقرة ، ليكسب الدولة الفتية مناعة كبيرة من الوجهتين المادية والمعنوية ؛ وذلك أولا بجعل العاصمة غير هيابة من تهديدات الدول المستعمرة ، وثانيا بتبعيدها عن تأثيرات خور الاستسلاميين ، وتسويلات الانهزاميين ، ومؤامرات الخونة ، ودسائس النفعيين .

ثالثا : أنه أتم السياسة التى عرفت باسم « تهجير الأرمن » ، فلم يترك أرمنياً واحداً فى المناطق التى كان الحلفاء قد قرروا أن ينشئوا فيها آرمينيا الكبرى .

رابعا : أنه التزم سياسة فعالة ، تؤدى إلى نتيجة مماثلة لذلك ، فى الولايات التى كان يقطنها الأروام أيضا ، فلم يترك رومياً واحداً فى المناطق التى كان الحلفاء جعلوها من حصة اليونان .

ان مصطفى كمال قطع على الاستعمار طريق الفتن والدسائس ، بمثل

هذه التدابير الفعالة الحاسمة ، لا «بقطع كل صلة سياسية بالدول العربية». كما جاء فى مقالة حفنى محمود باشا .

لا شك فى أنه أظهر حكمة وكياسة بعدم الطمع فى استرجاع الولايات العربية ، بعد اجلاء المحتلين عن الولايات التركية .

أنا لن أبحث هنا عن الأسباب الكثيرة التى كانت تبعده عن أحلام « أحياء السلطنة العثمانية » ولكنى أقول بكل تأكيد : ان أهم هذه الأسباب ، كان فهمه لمعانى «السياسة القومية » و « الدولة القومية» تمام الفهم . انه كان يحرص على تكوين دولة «تركية » بكل معنى الكلمة : دولة تستند على العنصر التركى وحده ، فتكون متجانسة من حيث اللغة والثقافة مجانسة تامة . وكان يدرك — فى الوقت نفسه — ادراكا واضحا بأنه لا يمكن تتريك البلاد العربية ، بتبعيد العرب عن لغتهم الخاصة وثقافتهم الخاصة .

* * *

وللبرهنة على صدق ما أقول ، — ولازالة كل الشكوك التى قد تساور بعض الأذهان فى هذه القضية الهامة — ، أرى أن أستعرض هنا ، بعض الوقائع التاريخية استعراضاً خاطفاً :

من المعلوم أن البلاد العربية قد انفصلت عن الدولة العثمانية بصوره فعلية خلال الحرب العالمية الأولى . ولكن الحلفاء — بعد الهدنة — لم يكتفوا بالبلاد التى كانوا استولوا عليها خلال الحرب ، بل أخذوا يوسعون ويعددون مناطق احتلالهم ، وصاروا يتغلغلون فى البلاد التركية نفسها ،

استناداً إلى شروط الهدنة أولا ، وبنـــاء على موافقة حكومة الخليفة وحيد الدين ثانياً .

فانهم سمحوا لفرنسا أن تحتل كيليكيا بأجمعها ، وأن تتغلغل فى احتلال البلاد حتى أورفه وعينتاب وديار بكر ؛ كما أنهم خولوا اليونان حق الاستيلاء على أزمير ، وأباحوا لهـا احتلال ولايتى أدرنه وبروسة ، وساعدوها على توسيع منطقة احتلالها حتى اسكيشهر ؛ وفى الأخير أوصلوها على أبواب أنقره . ومن جهة أخرى أخذوا يعدون العدة لإقامة دولة أرمنية فى الولايات الشرقية ، كما أنهم فـكروا فى احياء دولة پونتوس القـديمة على سواحل البحر الأسود ، وفى انشاء دولة كردية فى مناطق أنضول الجنوبية الشرقية . وفضلا عن ذلك كله ، استولوا على عاصمة الدولة نفسها ، واعتقلوا هنـاك جماعة كبيرة من رجال السياسة ، ونقلوهم إلى معتقلات مالطه .

خلال هذه الأعمال العدوانيه ، وضع مجلس الأمه ميثاقاً قومياً ، قال فيه ما مؤداه : اننا نعترف بانفصال البلاد العربيه عنا ، ولـكننا لا نعترف بانفصال أية ولاية من الولايات التى تدخل فى حدود القوميه التركيه ، ولا نسمح بقيام أية دوله جديدة داخل هذه الحدود .

ان مصطفى كمال قام وعمل على تنفيذ هذا الميثاق القومى بحذافيره . فأولا ، حال دون اقامة الدوله الأرمنيه فى ولايات أنضول الشرقيه ؛ ثانيا ، أوقف الزحف اليونانى فى ولايات أنضول الغربيه ؛ ثالثا ، طرد الجيوش اليونانية من جميع المدن والبلاد التى كانت استولت عليها . وخامساً ، وفى الأخير ، تمكن من تقرير مبدأ « مبـادلة السكان مع اليونان » فأخرج جميع الأروام من الولايات التى كانوا يسكنونها .

فأين وجه الشبه بين هذه الأعمال والوقائع، و بين السياسة التى يقترحها حفنى محمود باشا على مصر وعلى سائر الدول العربية ؟

إن مصطفى كمال سلم بالأمر الواقع فى انفصال البلاد العربية ، ولكنه لم يسلم بالأمر الواقع فى انفصال أو احتلال أى جزء من البلاد التى اعتبرها تركية .

إنه حشد وجند كل ما كان للشعب التركى من قوى مادية ومعنوية ، وركزها ووجهها ضد القوى المعتدية على البلاد التركية : حارب الطامعين والمستعمرين فى الخارج ، والانهزاميين والخونة فى الداخل ؛ وواصل الحرب والكفاح مدة تزيد على أربع سنوات متواليات . إنه لم يتردد فى محاربة الجيوش التى جرّدها خليفة المسلمين وسلطان العثمانيين وحيد الدين ، ولم يعترف بمعاهدة سيفر التى أبرمها الخليفة المشار إليه ؛ بل حارب وناضل إلى أن مزق المعاهدة المذكورة ، وظفر بمعاهدة لوزان المشهورة .

هذا ، وعندما جرت مفاوضات الصلح فى لوزان ، طالب بولاية الموصل بدعوى أنها تركية ؛ ولم يكف عن المطالبة بها ، ألا بعد ظهور نتائج الاستفتاء الذى قامت به لجنة عصبة الأمم ، و بعد إعلان القرار الذى اتخذه مجلس العصبة المذكورة .

ثم أخذ يطالب — فى أواخر حياته — بـ « سنجق الاسكندرونة » بدعوى أنها هاتاى التركية القديمة ، وهيأ لتركيا سبل الاستيلاء عليها ، مستفيداً من استعداد الدول المتحالفة للحرب العالمية الثانية .

* * *

وإذا بحثنا عن الأسس التى بنى عليها مصطفى كمال سياسته الناجحة

— على ضوء الوقائع والحقائق التى استعرضناها آنفاً — ، استطعنا أن نقول ، إنها تتلخص فى المبادىء التالية :

(ا) عدم الاعتراف بالحدود التى تفرضها السياسة الدولية .

(ب) التمسك بالحدود القومية التى تقررها اللغة والتاريخ .

(ح) حشد كل ماللشعب من قوى مادية ومعنوية لتخليص « الوطن القومى » من الاحتلال الأجنبى .

(د) العمل على تحقيق وحدة الشعور والاتجاه ، داخل حدود هذا الوطن القومى ، بكل الوسائل الممكنة .

فهل يوجد بين هذه الأسس والمبادىء ، ماينطبق على مايقترحه حفنى محمود باشا ؟

أنا لا أتردد فى القول ، بأن الاستناد إلى أعمال مصطفى كمال ، للتخلى عن الفكرة العربية — والتخلص من الواجبات التى تحتمها هذه الفكرة — مما لايتفق مع دلالة الحقائق الواقعة بوجه من الوجوه .

هذا ، ويجب أن لايغرب عن البال — فى هذا المضمار — أن تركية تختلف عن البلاد العربية باللغة والثقافة والتاريخ ، فى حين أن الدول العربية الحالية لا تختلف بعضها عن بعض لا باللغة ولا بالثقافة ولا بالتاريخ

الاستشهاد بتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

تعليق على مقال

حضرة الأستاذ إحسان عبد القدوس المحترم

كثيراً ما كنت أقرأ مقالاتكم بلذة واهتمام ، لأننى كنت ألمح فيها آثار اندفاع عاطفى أصيل ، مصحوب بتفكير رزين سليم . غير أننى لاحظت منذ مدة ، أن هذا الاندفاع العاطفى قد تحول إلى ثورة تشوش التفكير ، وتبعده عن مناطق الصواب . والمقال الذى نشرتموه أخيراً تحت عنوان « مصر أولا ! » كان مثالا بارزا على ذلك .

فقد قلتم فيه : « عند ما كانت الولايات المتحدة دولة ناشئة ، اتخذت من مبدأ مونرو شعاراً لها . وهو مبدأ يتلخص فى كلمتين : ليس لأوروبا أن تتدخل فى شؤوننا ، وليس لنا أن نتدخل فى شؤون أوروبا »

ثم أردتم أن ترسموا خطة سياسية مبنية على مبدأ ترون أنه مماثل لمبدأ مونرو ، فقلتم : « إن مصر الآن فى حالة تشبه حالة الولايات المتحدة عند تقرير المبدأ المذكور . فهى فى حاجة إلى حل مشاكلها الداخلية قبل أن تتطلع عبر حدودها ، لتحل مشاكل الغير من جيرانها وأبناء عمومتها » .

فاسمحوا لى أن أدعوكم إلى التفكير فى هذه القضية تفكيراً هادئا ، مجرداً من تأثير رياح العواطف والانفعالات :

* * *

لقد اقترحتم على مصر أن تعمل الآن بمبدأ مونرو، وحاولتم أن تلخصوا المبدأ المذكور بكلمتين. ولكنني أرى من الضروري أن استوضح معنى هاتين الكلمتين بعض الاستيضاح: ما هو المعنى المقصود من تعبير «شؤوننا» الواردة فى الكلمة الأولى؟ هل كان يقصد مونرو من ذلك شؤون الولايات المتحدة وحدها؟ أم كان يقصد شؤون القارة الأمريكية بأجمعها؟

إن مراجعة أى كتاب من كتب التاريخ والسياسة، مراجعة بسيطة، تكفى للاجابة على هذا السؤال، جوابا قاطعا: أن الكلمة التى اشتهر بها مونرو هى قوله «أميركا للاميركيين» فلم يقصد مونرو من هذه الكلمة الولايات المتحده وحدها، بل قصد نصف الكره الغربى بأجمعه؛ ولم يعلن هذا المبدأ بمناسبة حادث حدث داخل الولايات المتحدة، إنما أعلنه بناء على الأزمة السياسية التى كانت نشأت عن ثورة الشعوب الأميركية على المستعمرين الأوروبيين فى مختلف أنحاء القاره الاميركية.

أن شهادة التاريخ فى هذه القضية صريحة وبليغة للغاية: فقد أعلن مونرو مبدأه المشهور ببيان أرسله إلى الكونجرس، فى اليوم الثانى من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٣. وكان ذلك بعد الثورات التى قامت فى أميركا الجنوبية، والتى أدت إلى إعلان استقلال جمهورياتها العديده. وعند ما غلبت أسبانيا على أمرها فى هذه الثورات، استنجدت بملوك أوروبا، لاعادة «سيطرتها الشرعيه» على مستعمراتها الاميريكية، عملا بأحكام «الاتفاق المقدس» الذى كان قد عقد بينهم بعد مؤتمر فينا. فانبرى

قيصر روسيا ، الذى كان زعيم هذا الاتفاق إلى تلبية نداء الأسبان ، وأخذ يدعو سائر الملوك إلى نجدة هذه الدولة بارسال جيوشهم إلى ماوراء البحار. عندئذ قام مونرو فأعلن مبدأه المشهور قائلا «أن أميركا لم تعد قارة مفتوحة لاستعمار الأوروبيين ، وأن تدخل أية دولة من الدول الأوروبية فى شؤون الجمهوريات الاميركية الناشئة ، سيعتبر عملا عدائيا موجها إلى الولايات المتحدة نفسها . . »

ويظهر من ذلك بداهة أن مونرو لم يقترح على مواطنيه « الانكماش وراء حدود بلادهم السياسية » ، بل بعكس ذلك قد فرض عليهم « التطلع إلى ماوراء هذه الحدود . . إلى جميع أنحاء نصف الكرة الغربى » كما أنه أعلن استعداد الولايات المتحدة للدفاع عن استقلال جميع الجمهوريات التى قامت فى أميركا الجنوبية .

أفلا تسلمون معى — بعد أن تتذكروا هذه الوقائع الثابتة — ، أن مقالكم الآنف الذكر ، كان قد قلب الحقائق التاريخية رأساً على عقب . كما أن السياسة التى اقترحتموها على مصر عملا بمبدأ مونرو ، جاءت معاكسة لحقيقة المبدأ المذكور معاكسة تامة ؟ .

***

أنى لا أجهل العوامل التى حدت بكم إلى هذا الخطأ الغريب . لانى أقدر شدة الالام التى شعرتم بها من جراء الحوادث الأخيرة — ولم أستغرب الغضب الذى استسلمتم إليه تحت تأثير هذه الآلام. واستطيع أن أؤكد لكم بانى لست أقل تألما منكم — ومن أى مصرى آخر — من قساوة الحوادث المذكورة وفظاعتها .

ولكنى أقول — مع ذلك — أن الشعوب الحية الناهضة يجب أن تقابل المصائب برباطة الجأش ، وأن تعالجها بعزيمة ثابتة ، مقرونة بالحكمة والروية .

لقد لاحظتم كيف أن ثورة الغضب التى تملكتكم قد شوشت عليكم « منظر الوقائع التاريخية » هذا التشويش الغريب . أفلا يجب عليكم أن تحذروا من أن تشوش هذه الثورة تفكيركم فى تقدير « مصالح مصر الحقيقية » أيضاً ؟

تقولون : (مصر أولا . . !) وأنا أسلم معكم بذلك مبدئيا . ولكنى أعارضكم معارضة شديدة عندما أسمعكم تعقبون على ذلك بقولكم « على مصر ألا تتطلع الآن عبر حدودها لتحل مشاكل الغير من جيرانها . » أعارضكم معارضة شديدة ، وأدعوكم إلى التفكير مليا فى معنى كلمات « الحدود والغير ، والجيران » التى تذكرونها . وأسألكم بماذا تصفون عمل الرجل الذى لايبالى بالحريق الذى يشب فى حارته ، قائلا : « يجب أن أنظم شؤون دارى ، قبل أن ألتفت إلى الحريق الذى نشب فى دار جارى »

لاتنسوا أننا نعيش فى دور تعلن فيه الولايات المتحدة على الدوام « أن خطوط الدفاع عن أمريكا تبدأ فى هضبة إيران وجبال البلقان » . بل إن تركيا أيضاً تتكلم عن خطوط الدفاع التى تبعد عن بلادها بعداً كبيراً .

فهل تستطيعون أن تدعو — مع ذلك — أن الدفاع عن مصر ، يمكن أن يتم من وراء حدودها السياسية المعلومة ؟ من وراء هذا الخط الموهوم الذى كان رسمه رجال السياسة بالمسطرة على الخريطة ، عن طريق

وصل نقطة كائنة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، بنقطة كائنة على ساحل خليج العقبة ، عبر أراض صحراوية ؟

إنه ليؤلمنى جداً ، أن أرى بين رجال الفكر والقلم فى مصر ، من يتوهم ذلك ، ومن يحاول أن يرسم لبلاده خطة سياسية مبنية على مثل هذا الوهم . .

بين العروبة وبين الفرعونية

تعليق على مقال

لقد نشر الدكتور أحمد زكى بك فى المصرى مقالة تحت عنوان (ما العرب وما الفراعنة ؟ إنما نحن قوم مصريون)

وقال فيها أولا أن الأصول لاتلعب فى تكوين الأمم الادورا ضئيلا، وأنه مامن أمة تنتسب إلى أصل واحد حقيقة .

وبعد أن ذكر كثيراً من الأمور التى تبرهن على ذلك ، انتهى من بحثه هذا إلى القول بان مصر ليست فرعونية ، ولا هى عربية ، إنما هى أمة قائمة بنفسها ، مستقلة عن الفرعونية وعن العربية على حد سواء .

إنى أشارك الدكتور فى القول بان الأمم ليست بالأصول والأنساب ، ولكنى أخالفه فى النتيجة التى يستنبطها من هذه الحقيقة بالنسبة إلى مصر والمصريين .

يظهر أن الأستاذ الدكتور قد زعم بان فكرة القومية العربية مبنية على أساس العنصرية ، ولذلك أخذ يتساءل : «أين هى العربية الخالصة دلونى دلونى» .

فى حين أن فكرة « القومية العربية » لاترتبط — فى حقيقة الأمر بقضية الأصول والأنساب . والذين يؤمنون بوحـــدة الأمة العربية ، لايستمدون إيمانهم هذا من النظريات العنصرية ، إنما يستمدونه من المعلومات المتعلقة بروابط اللغة والثقافة والتاريخ . إنهم لايبحثون قط عن العربية الخالصة ، التى يشير إليها الدكتور أحمد زكى بك . إنما يقولون :

إن مصر وسوريا والعراق وتونس ...... الخ كلها عربية ، كما أن بروسيا وبافاريا ألمانية ،والبندقية وصقلية إيطالية ، والنورماندى ومارسيليا فرنسية . . . وذلك من غير التفات إلى قضايا الأصول والأنساب .

ولذلك أستطيع أن أقول : أن سلسلة الدلائل التى سردها الدكتور فى مقالته فى سبيل البرهنة على اختلاف الأصول وتشابك الأنساب بغية هدم آراء القائلين بوحدة الأمة العربية و بعروبة الشعب المصرى . . . . كانت بمثابة معول يتحرك فى الفضاء ، بعيداً عن البناء الذى يراد هدمه ، من غير أن يمس أى ركن من أركان ذلك البناء .

*
* *

بعد هذه الانتقادات الموجهة إلى مقـــدمات المقالة ، ينبغى لى أن أعترف بأنى أعجبت إعجابا شديداً جداً بقسم منها ، هذا القسم هو الذى فنّـد فيه الدكتور أحمد زكى بك رأى القائلين بفرعونية مصر .

ومما قاله فى هذا الصدد : ونحن المصريين،ماصلتنا بالمصريين من أهل مصر الأقدمين ؟ لست أدرى ، ولا المنجم يدرى . . . . .

« أعود الى نفسى ، وقدسلمت جدلا بأننا أنسال خالصة من الأصلاب العتيقة ، فأقول : لو قدر لى أن أحيي الموتى ، وقمت إلى مومياء فمسستها فاستقامت ، وعلى الأرض مشت ، و بيننا جلست وتحدثت ؛ وكان بيننا لغـة مفهومة ، فـكم يطول بيننا الحديث ، على الفهم وعلى غير الملل ، وقـد اختلفت بيننا عقول واختلفت قلوب ، واختلفت أرواح واختلفت نظرات إلى أشياء الحياة وأشياء مابعدالموت ؟ وخطر لى أنى سأكون أكثر

ائتناسا باليابانى أو الصينى أو الانجليزى أو الأميركى من أهل هذا العصر ، منى بهذا الذى ربطت بينى وبينه الدماء البعيدة ، روابط رقق منها الزمان وهلهل ، فكانت كنسيج العنكبوت ، أو أشد رقة . . . »

لقد أجاد الدكتور كل الاجادة فى اختيار هذه الطريقة ، لاظهار الحقيقة فى قضية « مصر والفرعونية » .

ولكنى كنت أتمنى بكل جوانحى أن يواصل الدكتور التفكير والحديث على الطريقة نفسها للبحث عن الحقيقة فى قضية « مصر والعروبة » أيضا .

بما أنه لم يفعل ذلك ، أرجو أن يسمح لى بأن أنوب عنه مؤقتا ، لاتمام هذا البحث على نفس الطريقة ونفس الأسلوب :

لو قدر للدكتور أن يحيى الموتى ، وأن ينفخ فى صور خيالى يعيد الحياة إلى طائفة من عظماء العرب ، فيضعه وجها الى وجه معهم فى رواق من أروقة الأزهر فى القاهرة ، أو فى حجرة من حجرات المدرسة العادلية بدمشق ، أو فى ايوان من أواوين الفردوس فى حلب أو المستنصرية فى بغداد .. لو قدر له أن يواجه فى أحد هذه الأروقة أو الأواوين ، سيف الدولة أو ابن خلدون ، المتنبى أو أبو العلاء المعرى ، الغزالى أو ابن زيدون . . ما ذا كان يحدث ؟ هل كان يجد الدكتور نفسه — عندئذ أيضا — أكثر ائتناسا باليابانى والصينى منه بهؤلاء ؟

أنا لا أشك فى أن جواب الدكتور على هذا السؤال ، سيكون : كلا ، لأن الأمور تختلف فى هـذه الحالة عن الحالة السابقة اختلافا كليا ؛ أولا لا يحتاج الدكتور — فى هذه الحالة — إلى أن يفرض وجود لغة مفهومة

بينه و بين هؤلاء فرضاً ، لأن هذه اللغـة موجودة أصلا وفعلا ، هى هذه اللغة التى يخطب و يكتب بها الدكتور كل يوم .

وثانياً — كان يستطيع الدكتور فى هذه الحالة أن يطيل الحديث معهم « على الفهم وعلى غير الملل » لأنه « لا تختلف بينـه و بين هؤلاء عقول وقلوب وأرواح ، ونظرات الى أشياء الحياة والى أشياء ما بعد الموت » و بتعبير أصح وأدق ، لا تختلف هذه الأمور بينه و بين هؤلاء أكثر مما تختلف بينه و بين الـكثيرين من المصريين الذين يعيشون بين ظهرانينا الآن .

وأظن أن هذه الملحوظات توصلنا الى الجواب المنطقى المعقول الذى يلائم السؤال المرسوم فى عنوان المقالة : « ما العرب ، وما الفراعنة ؟ »

يقول الدكتور « نحن قوم مصريون » ان هذا القول صحيح من حيث الأساس ، ولـكنه يحتاج إلى التوضيح والاتمام بالنسبة إلى الغاية المقصودة من السؤال :

يحسن بمن يقول « نحن قوم مصريون » أن يفكر فى العلاقات التى تربط المصريين الحاليين — بالفراعنة من جهة و بالعرب من جهة أخرى ، وأن يتساءل : هل تتساوى هاتان العلاقتان من حيث القوة ، والتأثير والاتجـاه ؟ .

أظن أننا لن نختلف مع الدكتور فى أجوبة هذه الأسئلة ، ولا أشك فى أنه سيسلم معى بأن :

العهود الفرعونية تمثل — بالنسبة إلى مصر الحالية — الماضى البعيد البائد ، الذى مضى وانقضى بكل معنى الـكلمة . . الماضي السحيق

الذى فقد اتصاله بالأحوال الحاضرة ، فلم يعد يؤثر فيها ، على الرغم مما فيه من مجد باهر .

وأما العهود العربية ، فانها مما لايجوز ادخاله فى عداد الماضى البحت : لأنها تمثل الماضى الحديث ، المتصل بالحال الحاضر ، والمستمر فيه . . . الماضى الحى النامى الفعال ، الذى لم يمض ولم ينقض تماما . . . «الماضي الحاضر» الذى لا يزال يعيش وينمو فى نفوسنا ويكوّن ويلوّن شخصياتنا .

ويظهر من ذلك كله : ان البون شاسع جداً بين علاقة مصر بالفرعونية وبين علاقتها بالعروبة .

يقول الدكتور « نحن قوم مصريون » وأنا أسلم معه بذلك ؛ ولكنى أرى أن أضيف إلى هذا القول الكلمات التالية : « والمصريون عرب ، باللغة والثقافة والتاريخ . . . »

* * *

هذا ، وقبل أن أختم هذا الحديث ، أود أن أعلق بكلمة صغيرة على ما جاء فى خاتمة المقالة :

ينهى الدكتور أحمد زكى بك مقالته بالعبارات التالية :

« والأمم بعد كل هذا صائرات إلى أمة واحدة ، ما جرى الفكر الانسانى هذا المبادىء فى مجراه . . . وانه لهدف هم بالغوه ، لأنى أحس بأنها هكذا تجرى مشيئة الله » .

انى لست أشارك الدكتور روح التفاؤل الذى أظهره بقوله هذا نحو مستقبل الانسانية العام . ولكنى لا أود أن أناقشه فى هذه القضية . بل انى سأسلم فيها جدلا ، كى أوجه اليه الأسئلة التالية :

إذا كانت أمم الأرض صائرات إلى أمـــة واحدة ، — كما يقول الدكتور — ، أفلا يجب أن يعترف بأن هذا المصير لا يمكن أن يتحقق دفعة واحدة ، بل لا بد له أن يتم على مراحل عديدة ؟ وهل يجد الدكتور مجالا للشك فى أن أقرب هذه المراحل ستكون اتحاد الشعوب التى تتكلم لغة واحدة ؟ أفلا يعنى ذلك أن الشعوب العربية صائرات إلى الاتحاد ، وأن اتحاد هذه الشعوب سيتم — قبل اتحاد الأمم المختلفة — بطبيعة الحال ؟

واذا سلم الدكتور بكل ذلك ، — وأنا لا اشك فى انه سيسلم به من من غير تردد ، نظراً للرأى الذى ابداه فى اتحاد امم الأرض قاطبة — ، افلا يكون اجدر به واحرى ان يؤمن بأن مصر ستتحد من سائر البلاد العربية ، عاجلا او آجلا ؟

ان المصريين عرب ، شأنهم شأن السوريين والعراقيين ، والتونسيين وغيرهم من ابناء العالم العربى الفسيح ... وانهم صائرون الى « الشعور بعروبتهم » شعوراواضحاً ، على الرغم من كثرة التى العوامل تخدر وتعيق هذا الشعور ... وان ابناء مصر سيرددون — عاجلا او آجلا — مع سائر ابناء البلاد العربية ، النشيد المشهور :

بلاد العـــرب اوطانى ،
من الشـــام لبغـداد ،
ومن نجـد الى يمن ،
الى مصر ، فتطوان .

كلمات

(من كتاب القومية والوطنية)

أن فكرة الوحدة العربية لا تستند إلى العاطفة وحدها ، بل تستند إلى المنفعة أيضاً .

أعتقد أن منفعة مصر نفسها تتطلب منها الاتحاد مع سائر البلاد العربية . كما أعتقد بأن منفعة مصر فى هذه القضية ليست من المنافع البسيطة الطفيفة ، بل هى من المنافع الهامة الحيوية .

وإذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المنافع لا يزالون قليلين اليوم ، فلا شك فى أنهم سيتكاثرون فى مستقبل الأيام . (سنة ١٩٣٨)

* * *

إن كل من يلقى نظرة تدقيق على تواريخ الأمم المعاصرة لنا — يضطر إلى التسليم بأن العلاقات التاريخية التى تربط مصر بسائر الأقطار العربية ، لهى أقوى وأعمق وأطول من العلاقات التاريخية التى تربط الأيالات الفرنسية بعضها ببعض .

* * *

أعتقد بأن توحيد الثقافة من أهم العوامل التى تهيىء سائر أنواع التوحيد . فأقول بلاد تردد : اضمنوا لى وحدة الثقافة ، وأنا أضمن لكم كل ما بقى من ضروب الوحدة . (سنة ١٩٣٨)

* * *

إن الأمة العربية كانت قد وصلت فيما مضى إلى أرقى درجات الحضارة؛ وكانت أقوى منار للعلم فى العالم خلال عهد طويل. كما لعبت دوراً هاماً فى تاريخ تقدم البشر، لم يتيسر مثله إلا لبضع أمم... والأمة التى كانت وصلت إلى هذه المرتبة من التقدم، لا يمكن أن تصبح غير قادرة على النهوض.

* * *

يجب على كل منا أن يؤمن إيماناً قوياً بأن الأمة العربية التى قامت فى الماضى قومتها الجبارة ولعبت دورها العالمى الخطير، لا بد أن تقوم من كبوتها الحالية، ولا بد أن تستعيد المكانة اللائقة بماضيها المجيد، فى تاريخ العالم الجديد...

* * *

لا شك فى أن سبيل النهضة والواحدة محفوفة بأنواع المشاكل والعقبات. ولا شك فى أن الموانع التى يجب علينا أن نقتحمها قبل أن نصل إلى غايتنا المنشودة كثيرة وكبيرة جداً. غير أن هذه المشاكل — مهما كانت عويصة —، وهذه العقبات — مهما كانت عظيمة — يجب ألا تثنينا عن عزمنا، وألا تزعزع إيماننا.

* * *

يظهر لى أن معظم الشبان القوميين يأملون تحقيق أمانيهم الوطنية بسرعة، ويطمحون إلى رؤية نجاح القضية العربية على الفور؛ وعند ما يلاحظون عدم تحقق الفوز السريع الذى كانوا ينتظرونه والنجاح السريع الذى كانوا يأملونه.. يستسلمون إلى اليأس والقنوط.

قالوا : أن المنفعة تسير الشعوب ، قلت : وهذه المنفعة هى التى ستسيّر المصريين نحو الوحدة العربية عاجلا أم آجلا . (سنة ١٩٣٨)

* * *

إن العوامل التى تربط الأفراد بعضهم ببعض وتحبب بعضهم إلى بعض -- فتؤلف منهم أمة واحدة — كثيرة ومتنوعة : الاعتقاد بوحدة الأصل والمنشأ ، والاشتراك فى اللغة والتاريخ ، والتشابه فى العواطف والعوائد ، والتماثل فى ذكريات الماضى ونزعات الحال وآمال الاستقبال ... كلها من جملة هذه الروابط المعنوية التى تولد التقارب والتعاطف ، وتكوّن الأمم والأوطان .

* * *

لا يتغلب عامل من العوامل الاجتماعية على تأثير اللغة والتاريخ فى تكوين القوميات ، سوى عامل الاتصال الجغرافى . لأن فقدان الاتصال الجغرافى قد يؤدى إلى بقاء أجزاء الأمه الواحدة منفصل بعضها عن بعض ، رغم اتحادها فى اللغة والتاريخ . زد على ذلك ، أنه قد يؤدى — بمرور الزمن — إلى تباعد وتباين فى اللغة والتاريخ أيضاً .

* * *

عندما نقول « وحدة التاريخ » يجب ألا نفهم من ذلك « الوحدة التامة فى جميع أدوار التاريخ » بل يجب أن نفهم من ذلك ، الوحدة النسبية والغالبة التى تتجلى فى أهم صفحات التاريخ : أهم صفحات التاريخ التى أوجدت ثقافة الأمة الأساسية ، وأعطتها ثقافتها الحالية ،

وطبعتها بطابعها الأصلي الخاص .. وإلا لما استطعنا أن نجد أمة واحدة ، كانت « موحدة » على طول تاريخها توحيداً تاماً .

٭ ٭ ٭

فقد قال أحد المفكرين : « على كل أمة أن تنسى قسما من تاريخها »

أنا لا أشك فى أن هذا القول ينطوى على حظ كبير من الحقيقة : فأن الوحدة الحقيقية فى أمة من الامم ، لا يمكن أن تضمن إلا بنسيان قسم من الوقائع التى حدثت لها خلال تاريخها الطويل .

هذا ، وأرى أن أصرح بأننى عندما أقول « نسيان قسم من وقائع التاريخ » لا أقصد بذلك حذف أخبار تلك الوقائع من الكتب ؛ بل أقصد من ذلك إهمال تلك الوقائع وإبعادها عن منطقة « الفكر الفعالة » واخراجها من عداد « الفكر القوانية » وتغليب التاريخ المشترك عليها .

٭ ٭ ٭

أن الوطنية هى حب الوطن، والشعور بارتباط باطنى نحوه ؛ والقومية هى حب الأمة ، والشعور بارتباط باطنى نحوها .

والوطن — من حيث الأساس — إنما هو قطعة من الأرض ؛ والأمة — فى حقيقة الأمر — إنما هى جماعة من البشر .

٭ ٭ ٭

حب الوطن يتضمن — بطبيعته — حب المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن ؛ كما أن حب الأمة يتضمن — فى الوقت نفسه — حب الأرض التى تعيش عليها تلك الأمة .

٭ ٭ ٭

* * *

أن جميع الأبحاث العلمية — المستمدة من حقائق التاريخ ومن مكتشفات علم الإنسان ومكتسبات علم الأقوام — لا تترك مجالا للشك فى أنه لا يوجد على وجه البسيطة أمه تنحدر من أصل واحد فعلا ؛ ولا توجد على الأرض أمة خالصه الدم تماماً .

* * *

ونستطيع أن نقول بكل جزم وتأكيد : إن وحدة الأصل والدم فى الأمم ، إنما هى من الأوهام التى استولت على العقول والأذهان ، من غير أن تستند إلى دليل أو برهان .

* * *

إننى أشبه الأمم بالأنهر . فمن المعلوم أن كل نهر من الأنهر ، تجرى فيه مياه أتت من منابع ومصادر وروافد مختلفة . والأنهر الكبيرة تكون كثيرة المنابع وعديدة الروافد بوجه عام . وإذا بحثنا عن منبع نهر من الأنهر ، فإنما نفعل ذلك بالنسبة إلى ما هو الغالب والأساسى ، ولا نعنى بذلك أن جميع مياه النهر تأتى من منبع واحد فعلاً .

فهرس

صحيفة

مقدمـــة ٥

كلمة حول كارثة فلسطين ١٥

محاضرة فى القومية العربية ١٧

مناقشات وتوضيحات حول المحاضرة المذكورة : . . . ٥١

مناقشة بعض الآراء ٥٢

انفصال الولايات المتحدة الاميريكية . . . ٥٣

إختلاف المصالح الإقتصادية ٥٨

التساؤل عن منفعة العروبة ٦٣

مواقف المصريين من العروبة ٦٧

النزعـة الفرعونية ٧٠

كلمة حول التماسك الاجتماعى ٧٢

مصر والعروبة : ٨٣

الاستشهاد بتاريخ اليونان ٨١

الاستشهاد بتاريخ الأتراك ٨٨

الاستشهاد بتاريخ الولايات المتحدة الاميريكية . ٩٥

بين العروبة وبين الفرعونية ١٠٠

كلمات فى الوطنية والقومية ١٠٦

يطلب في بغداد من
مكتبة المثنى

الثمن ١٠ ص